الباب الأول

الصّفات

بدأنا بهذا الباب بقصد التعريف على جوانب فى شخصية الرسول من ناحية ومن ناحية أخرى كى يكون بمثابة مفتاح للأبواب الأخرى وقد حاولنا أن نمشى فيه على الترتيب التالى :

١- **مقدمة** : نستعرض فيها صفات الرسول الجسمية ليتضح كيف أن تركيبه الجسمى متناسب مع الرسالة التى كلف بها .

٢- **الفصل الأول** : ويبحث فى الصفات الأساسية للرسل وكيف كان للرسول منها أعلى ما يتصور فى حق بشر .

٣- **الفصل الثانى** : ويبحث فى كون الرسول هو القدوة العليا للبشر فى كل جانب من جوانب الحياة لأنه كان فى كل جانب فى الذروة العليا من الكمال .

وجعلنا المقدمة تحت عنوان : تكوين الرسول الجسمى .

وجعلنا الفصل الأول تحت عنوان : الصفات الأساسية .

وجعلنا الفصل الثانى تحت عنوان : القدوة العليا .

ونأمل ألا ننتهى من هذا الباب إلا وقد اتضح لطالب الحق أن محمدا لا يمكن أن يكون إلا رسول الله حقًا ﷺ .

* * *

openkanar.com

المقدمة

تكوين الرسول الجسماني

إن أول ما يقع بصر الإنسان على رسول الله يشعر أنه أمام جمال مدهش لا مثيل له. ومظهر يوحي بثقة مطلقة لا حد لها وهذا ما ينعقد عليه إجماع من يشاهدوه عليه الصلاة والسلام.

أخرج الدارمي والبيهقي عن جابر بن سمرة قال: رأيت النبي في ليلة اضحيان (أي مقمرة مسفرة) فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو كان أحسن في عيني من القمر.

وأخرج الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه منه كأن الأرض تطوى له أنا لنجهد وأنه غير مكترث.

وأخرج الشيخان عن البراء قال: كان رسول الله بعيد ما بين المنكبين يبلغ شعره شحمة أذنيه ما رأيت شيئا أحسن منه.

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة في وصف وجه رسول الله قال: بل مثل الشمس والقمر مستديرا.

وأخرج الشيخان عن البراء قال: كان رسول الله أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير.

وأخرج مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له صف لنا رسول الله قال: كان أبيض مليح الوجه.

وأخرج الدارمي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم عن أبي عبيدة قال: قلت للربيع بنت معوذ صفي لي رسول الله قالت: لو رأيته قلت الشمس طالعة.

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ضخم القدمين حسن الوجه لم أر بعده مثله.

وأخرج أبو موسى المدينى فى كتاب الصحابة عن أمد بن أبد الحضرمى قال: رأيت رسول الله فما رأيت قبله ولا بعده مثله.

وأخرج الدارمى عن ابن عمر قال: ما رأيت أشجع ولا أجود ولا أضوأ من رسول الله.

وأخرج أحمد والبيهقى عن محرش الكعبى قال: اعتمر النبى من الجعرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

ومن شعر عمه أبى طالب فيه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد والبيهقى عن على قال: كان النبى ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة إذا جاء مع القوم غمرهم أبيض ضخم الهامة (أى الرأس) أغر أبلج أهدب الأشفار (أى طويل شعر العين أسوده) كأن العرق فى وجهه اللؤلؤ لم أر قبله ولا بعده مثله.

ومن وصف هند بن أبى هالة له: كان رسول الله فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر.. عظيم الهامة رجل الشعر.. أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن. بينهما عرق بدره الغضب (الحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر) أقنى العرنين (العرنين الأنف أو ما صلب منه والقنأ طول الأنف ودقة أرنبته واحدداب وسطه) له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم (الأشم الطويل قصبة الأنف) كث اللحية أدعج (الدعج شدة سواد العين) سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان (أى لأسنانه رونق وغير متراكبة) دقيق المسربة (أى خفيف شعر ما فوق السرة) كأن عنقه جيد دمية فى صفاء، معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين.. أنور المتجرد. طويل الزندين رحب الراحة.. شثن الكفين والقدمين سابل الأطراف (أى طويل الأصابع) خمصان

الأخمصين.. ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الأرض أكثر من نظره الى السماء..

وكان إذا مس أحداً أحس بطمأنينة عجيبة وروح عجيب.

أخرج أحمد عن سعد بن أبى وقاص قال: اشتكيت بمكة فدخل على رسول الله يعودنى فوضع يده على جبهتى فمسح وجهى وصدرى وبطنى فما زلت يخيل الى أجد برد يده على كبدى حتى الساعة.

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال: مسح رسول الله خدى فوجدت ليده بردا وريحانا كأنما أخرجها من جونة عطار. وأخرج الشيخان عن أنس قال: ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله ولا شممت مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

وكان منظره يوحى لمن يراه بأنه أمام نبى.

أخرج الترمذى عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبى ﷺ المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

وعن أبى رمثة التميمى قال: أتيت النبى ومعى ابن لى فأريته فلما رأيته قلت: هذا نبى الله.

ويقول عبد الله بن رواحة فى وصفه:

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

هذه بعض آثار مما ورد فى وصف تكوينه الجسمى نقلناها بين يدى صفاته وكمالاته الخلقية العظيمة لتتضح صورته من جميع جوانبها عليه السلام.

* * *

الفصل الأول

الصفات الأساسية

إنه لابد لكل رسول لله أن يكون متصفا بصفات أساسية أربع حتى يكون أهلا للرسالة. وهذه الصفات الأربع هى:

١- الصدق المطلق الذى لا ينقض فى كل حال. بحيث لو امتحن كل قول له لكان مطابقا للواقع إذا وعد أو عاهد أو جد أو داعب أو أخبر أو تنبأ واذا انتقضت هذه الصفة أى نقض، فإن دعوى الرسالة تنتقض من أساسها لأن الناس لا يثقون برسول غير صادق، والرسول الصادق لا يمكن أن تجد فى جزء من أجزاء كلامه شيئا من الباطل فى أى حال من الأحوال وفى أى جانب من الجوانب.

٢- الالتزام الكامل بما يدعو إليه نيابة عن الله إذ مهمة الرسالة تبليغ الناس ما كلفهم به الله فإذا لم يقم الرسول نفسه بهذه التكاليف دل ذلك على عدم تفاعله مع التكليف وهذا دليل كذبه فى دعوى الرسالة. إذ الرسول الذى يتصل به الله أعرف بجلال الله وبالتالى لا يعصى له أمر لأن عصيان أمر الله خيانة، وغير الأمناء ليسوا أهلا لحمل رسالة الله.

٣- التبليغ الكامل المستمر لمضمون الرسالة وعدم المبالاة معه بسخط الناس أو تعذيبهم أو إيذائهم أو كيدهم أو مؤامراتهم أو ارجافهم، والاستقامة على أمر الله وعدم الانحراف عنه. مهما كانت المغريات والاستمرار على ذلك. إذ بدون التبليغ لا تظهر الرسالة وبدون الاستمرار عليه والصبر لا تستقر. والخضوع لضغط الناس أو لإغرائهم دليل كذب دعوى البلاغ عن الله. إذ لا يبلغ رسالة الله إلا من رغب بالله عن غيره وكان الله وحده هو العظيم عنده ولا يبالى بغير رضاه.

٤- العقل العظيم إذ لا يسلم الناس ولا يتبعون إنسانا إلا إذا كان أرجحهم عقلا

ليطمئنوا على أنه لا يسير بهم فى الطريق الخاطئ كما أنه بدون العقل العظيم لا يستطيع صاحب الرسالة أن يقنع الآخرين بالحق الذى فى رسالته، خاصة أصحاب المدارك الواسعة والعقول الكبيرة ولا يستطيع أن يرد هجمات المبطلين والمتكبرين والمنحرفين والمنتفعين بالانحراف. فلابد أن يكون الرسول أذكى الخلق وأفطنهم وأعقلهم وأحكمهم وأكملهم مدارك كى تقوم به الحجة.

فإذا اجتمعت هذه الصفات الأربع لإنسان يذكر أنه رسول الله مع بقية العلامات التى يعرف بها الرسول دون وجود مانع يحيل الدعوى، كان ذلك برهانا ودليلا على صحة الدعوى اذ لا يوجد مبرر لتكذيب الصادق ولا يوجد تعليل لحرارة الالتزام غير التسليم، وعدم الانصراف عن التبليغ مع توفر دواعى الانصراف لا تعلل إلا بالإخلاص للدعوة وصاحبها، ودعوة حجتها معها، وصاحبها قادر على إقامة الحجة فى أى جانب من جوانبها فيها دليل حقيقتها.

وسنرى فى هذا الفصل كيف أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان المثل الأعلى فى كل صفة من هذه الصفات بحيث لا تستطيع أن تدرس واحدة منها عنده إلا وتسلم أن صاحبها رسول الله حقا. وسندرس هذه الصفات على الترتيب المذكور هنا فنبدأ بصفة الصدق عنده عليه الصلاة والسلام.

١- صدقه عليه السلام

وطريقتنا فى استعراض هذه الصفة أن نأتى بالشهادات عليها وهذه الشهادات ثلاث:

(أ) شهادة الخصوم.

(ب) شهادة الأتباع.

(ج) شهادة الواقع، وشهادة الواقع تتمثل فى أربع: فى الإخبار وفى الوعد، والعهد، وفى المزاح والمداعبة وفى النبوءات.

(أ) شهادة الخصوم:

وشهادة الخصوم فى هذا الفصل لها وزنها الكبير، إذ تدلك على مبلغ الثقة التى

كان يتمتع بها رسول الله عند الجميع، ولكن بعض الناس استغرب واستكبر فأنكر دون وجود مبرر لهذا الإنكار وهذه نصوص تؤكد لك هذا الذى قلناه:

« أخرج البيهقى عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أنى أمشى أنا وأبو جهل فى بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبى جهل: يا أبا الحكم هلم الى الله ورسوله أدعوك إلى الله. فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أنى أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل على فقال: والله إنى لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعنى شئ. أن بنى قصى قالوا: فينا الحجابة. قلنا نعم ثم قالوا: فينا السقاية قلنا نعم، ثم قالوا: فينا الندوة فقلنا: نعم ثم قالوا: فينا اللواء فقلنا نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى اذا تحاكت الركب قالوا: منا نبى. والله لا أفعل » وأخرجه ابن أبى شيبة بنحوه.

وأخرج الترمذى عن على أن أبا جهل قال للنبى ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله تعالى ﴿ **فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأنعام:٣٣].

وأخرج ابن عساكر عن معاوية (رضى الله عنه) قال: خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفا هند وخرجت أسير أمامهما وأنا غلام على حمارة لى اذ سمعنا رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان: انزل يا معاوية حتى يركب محمد فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة ثم التفت إلينا فقال: يا أبا سفيان بن حرب ويا هند بنت عتبة والله لتمتن ثم لتبعثن ثم ليدخلن المحسن الجنة والمسيء النار. وأنا أقول لكم بحق وانكم لأول من أنذرتم ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ [فصلت:١-٢]. حتى بلغ ﴿ **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ [فصلت:١١] فقال له أبو سفيان: أفرغت يا محمد؟ قال نعم ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها وأقبلت هند على أبى سفيان: ألهذا الساحر أنزلت ابنى قال: لا والله ما هو بساحر ولا كذاب » وأخرجه الطبرانى أيضا.

وروى البخارى ومسلم قصة أبى سفيان عند هرقل كما حدث بها أبو سفيان

ابن عباس ومنها سؤال هرقل لأبى سفيان هذا: «قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال. قلت لا» وفى آخر القصة يقول هرقل لأبى سفيان: «وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال. فزعمت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب عل الناس ويكذب على الله تعالى».

وأخرج الشيخان والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد ﷺ على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، قال أبو لهب: تبا لك يا محمد ألهذا جمعتنا فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] من هذه النصوص يتبين لك أن الثقة بصدق محمد ﷺ كانت متوفرة ولم يكن هذا الموضوع فيه شك أبدا وهذا الذى يعلل لنا:

١- ظاهرة الإيمان به من قبل من حاربوه واحدا فواحدا طوعا لا إكراها أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب.. ذلك لأنهم ما كانوا يشكون فى أن محمدا صادق، ولكن فاجأهم بشيء لم يسمعوا به هم ولا آباؤهم فأنكروه. حتى إذا ذهب هول المفاجأة وحكموا عقولهم التقى صدق الفكر بالثقة الأساسية بشخص محمد ﷺ فتولد عن ذلك إيمان.

٢- ظاهرة الإخلاص له بعد الإيمان: فبعضهم لم يؤمن إلا آخرا بعد أن غلب كبقايا قريش فإنهم أخيرا غلبوا للاسلام، وكان يمنعهم من ذلك ثارات وأحقاد وشبهات وشهوات. حتى إذا دخلوا فيه تسليما للأمر الواقع وإذا بهم مخلصون لرسول الله كأتم ما يكون الإخلاص. ومتفانون فى الإسلام بعد أن زالت عن أعينهم غشاوات. من بعدها تبينوا أن محمدا هو الأخ الكريم والابن الكريم فكانت معرفتهم به وثقتهم بشخصيته أساسا لإخلاصهم فى طريقهم الجديد الذى ساروا به بعد ذلك فرحين.

وبعد فهذه شهادة خصوم: بعضهم أسلم بعد خصومة شديدة وبعضهم مات

على كفره ولكن الجميع حتى فى أشد حالات الخصومة كانوا مؤمنين أن محمدا ﷺ صادق.

(ب) شهادة الأتباع:

ونقدم لشهادة الأتباع بما يلى:

١- أن رسول الله ﷺ كان دائم الخلطة لأصحابه فى طعامهم وشرابهم وسفرهم وصلاتهم ومجالسهم وهو عليه السلام كان يحب البساطة والصراحة ويكره التكلف، وبعض الصحابة خالط الرسول ﷺ قبل النبوة وبعدها عشرات السنين.

٢- وهؤلاء الأصحاب لم يكونوا أغرارا ولا مغفلين ولا منعزلين عن العالم، بل بعضهم من مكة التى كان العرب سنويا يقصدونها للحج، وتسلم الجزيرة العربية كلها لأهلها بالفضل والزعامة عدا عن صلات أهلها بواسطة التجارة مع اليمن ومع الشام حيث مراكز الحضارة. وبعض أصحابه من المدينة حيث الصلات الفكرية مع اليهود وما ينشأ عن ذلك من تفتح ذهنى.

كما أن هؤلاء الأصحاب أثبتوا فى حياة الرسول ﷺ وبعد مماته أنهم أرجح الناس عقولا وأكثرهم دهاءا وحنكة ومعرفة بالرجال والشعوب وسياسة الأمم بدليل أنهم نجحوا رغم محدودية وسائلهم بفتح أعظم الدول المتحضرة وقتذاك وإدارتها وكسب مودة شعوبها ودمجهم بعد ذلك فى الأمة الإسلامية.

فإذا ما اجتمعت هاتا الناحيتان: الخلطة الدائمة. وذكاء المخالطين، فإن أمر الكاذب يفتضح، وأمر الصادق يتضح.

والظاهرة الواضحة فى حياة الصحابة أنهم كلما ازدادوا برسول الله ﷺ خلطة ازدادوا به إيمانا وتصديقا بل أكثرهم اختلاطا به أكثرهم إيمانا به وطاعة له وقد بلغ هذا معهم لدرجة أنه أصبح الموت من أجل ما يريد الرسول ﷺ أحب إليهم من الحياة، وانفاق المال أحب إليهم من إمساكه، والطاعة أحب إليهم من المعصية. ودين الرسول ﷺ أحب إليهم من الأموال والأولاد والمساكن والزوجات والوطن. وكل هذا من مظاهر التصديق الكامل إذ لولا التصدق لما كان شئ من هذا. فقد قتل منهم الابن

أباه، وأراد الأب قتل ابنه فعلام يفعلون هذا لولا أن إيمانهم برسول الله وتصديقهم به وصل الى ذروة الذرى. وهذه أمثلة كل منها يعتبر أثرا من آثار التصديق الكامل ودليلا عليه نذكرها بلا تعليق وفى كل منها شهادة من صاحبها. بعد تجربة على أن محمدا ﷺ صادق لاشك فى ذلك:

١- أخرج الحافظ أبو الحسن الطرابلسى عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ - وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا - ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور فقال: يا أبا بكر إنا قليل. فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا الى الله والى رسول الله ﷺ. وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين، فضربوا فى نواحى المسجد ضربا شديدا ووطئ أبو بكر وضرب ضربا شديدا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه. ونزا على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله. ولا يشكون فى موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب. فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه. ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ فقالت: والله ما لى علم بصاحبك. فقال: اذهبى الى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك الى ابنك، قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا. فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ قالت: هذه

أمك تسمع. قال: فلا شئ عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: فى دار ابن الأرقم. قال: فإن لله على أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله ﷺ فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ. قال: فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون. ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله، ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى، وهذه أمى برة بولدها، وأنت مبارك فادعها الى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها الى الله فأسلمت.

٢- وأخرج إبن إسحاق عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما أسلم عمر رضى الله عنه قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحى فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ـ حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت فى دين محمد ﷺ؟ قال: فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد يصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش ـ وهم فى أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إن ابن الخطاب قد صبأ. قال يقول عمر من خلفه: كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وثاروا إليه فما برح يقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، قال: وطلع فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم القتال فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه! رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل. قال: فو الله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه. قال فقلت لأبى ـ بعد أن هاجر الى المدينة ـ يا أبت: من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة ـ يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أى بنى: العاص بن وائل السهمى. وهذا إسناد جيد قوى ـ كذا فى البداية.

٣- وأخرج البخارى فى التاريخ عن مسعود بن خراش رضى الله عنه بينما نحن

نطوف بين الصفا والمروة إذا أناس كثير يتبعون فتى شابا موثقا بيده فى عنقه. قلت: ما شأنه. قالوا: هذا طلحة بن عبيد الله – رضى الله عنه – صبأ. وامرأة وراءه تدمدم وتسبه. قلت من هذه؟ قالوا: الصعبة بنت الحضرمى أمه.

٤– وأخرج البيهقى وابن سعد والحارث وابن المنذر وابن عساكر وابن أبى حاتم عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه: أن صهيبا رضى الله عنه: أقبل مهاجرا نحو النبى ﷺ فتبعه نفر من قريش مشركون، فنزل فانتضى كنانته فقال: قد علمتهم يا معشر قريش أنى أرماكم رجلا بسهم، وأيم الله لا تصلون الى حتى أرميكم بكل سهم فى كنانتى ثم أضربكم بسيفى ما بقى فى يدى منه. ثم شأنكم بعد ذلك وإن شئتم دللتكم على مالى بمكة وتخلوا سبيلى. قالوا: نعم. فتعاهدوا على ذلك فدلهم، فأنزل الله على رسوله القرآن: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٠٧] حتى فرغ من الآية. فلما رأى النبى ﷺ صهيبا قال: ربح البيع يا أبا يحيى .. ربح البيع يا أبا يحيى! وقرأ عليه القرآن.

٥– وأخرج الحاكم عن سليمان بن بلال رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما خرج الى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعا الخروج معه، فذكر ذلك للنبى ﷺ فأمر أن يخرج أحدهما فاستهما. فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد (رضى الله عنهما) إنه لابد لأحدنا من أن يقيم فأقم مع نسائك. فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به أنى أرجو الشهادة فى وجهى هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ الى بدر. فقتله عمرو بن عبد ود. وأخرجه أيضا ابن المبارك عن سليمان وموسى ابن عقبة عن الزهرى، كما فى الإصابة.

٦– وأخرج الطبرانى عن ابن عمر ــ أن عمر ــ رضى الله عنهما، قال يوم أحد لأخيه: خذ درعى يا أخى! قال أريد من الشهادة مثل الذى تريد، فتركاها جميعا، قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح.

٧– وأخرج ابن اسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخى بنى عدى ابن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار – رضى الله عنهم – وقد ألقوا بأيديهم.

فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ فوموا. فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم استقبل القوم. فقاتل حتى قتل.

٨- وأخرج الحاكم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع رضى الله عنه وقال لى: إن رأيته فأقرئه منى السلام. وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى. فأصبته وهو فى آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم. فقلت له: يا سعد. إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرنى كيف تجدك؟ قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام. قل له: يا رسول الله أجدنى أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص الى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف. قال: وفاضت نفسه - رحمه الله - قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبى: صحيح. ثم أخرج الحاكم من طريق ابن إسحاق أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة حدثه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: من ينظر لى ما فعل سعد ابن الربيع - رضى الله عنه - فذكر الحديث بنحو منه ـ وقال: فقال سعد: أخبر رسول الله ﷺ أنى من الأموات، وأقرئه السلام وقل له: يقول سعد: جزاك الله عنا، وعن جميع الأمة خيرا.

٩- وأخرج البيهقى عن مالك بن عمير رضى الله عنه وكان قد أدرك الجاهلية. قال: جاء رجل الى النبى ﷺ فقال: أنى لقيت العدو ولقيت أبى فيهم. فسمعت لك منه مقالة قبيحة فلم أصبر حتى طعنته بالرمح ـ أو حتى قتلته. فسكت عنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ثم جاء آخر فقال: إنى لقيت أبى فتركته وأحببت أن يليه غيرى. فسكت عنه. قال البيهقى وهذا مرسل جيد.

١٠- وأخرج البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبى وهو فى ظل أطم فقال: غبر علينا ابن أبى كبشة. فقال ابنه عبد الله بن عبد الله رضى الله عنه: يا رسول الله والذى أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه؟ فقال: لا، ولكن بر أباك واحسن صحبته. قال الهيثمى رواه البزار ورجاله ثقات.

١١- وذكر ابن هشام عن أبى عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى أن

عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لسعيد بن العاص رضى الله عنه ومربه: إنى آراك تظن أنى قتلت أباك. انى لو قتلته لم أعتذر اليك من قتله. ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام ابن المغيرة، فأما أبوك فإنى مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه، فحدث عنه وقصد له ابن عمه على فقتله. كذا فى البداية. وزاد فى الاستيعاب والاصابة: فقال له سعيد ابن العاص: لو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل، فأعجبه قوله.

١٢- وأخرج ابن سعد عن الزهرى قال: لما قدم أبو سفيان ابن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد فى هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام فدخل عل ابنته أم حبيبة رضى الله عنها. فلما ذهب ليجلس على فراش النبى ﷺ طوته دونه. فقال: يا بنية! أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: يا بنية! لقد أصابك بعدى شر. وذكر ابن اسحاق نحوه بلا إسناد، كما فى البداية وزاد: فلم أحب أن تجلس على فراشه.

١٣- وأخرج الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة. وقالوا: قتل محمد حتى كثرت الصوارخ فى ناحية المدينة. فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها ـ أى قتلى ـ لا أدرى أيهم استقبلت به أولا. كلما مرت على أحدهم قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك. تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ يقولون: أمامك حتى دفعت الى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله لا أبالى إذ سلمت من عطب.

هذه نصوص تبين لك مدى الإيمان برسول الله ﷺ عند أتباعه المخالطين له مما يدلك على أن تصديقهم لرسول الله ﷺ بلغ حدا لا مثيل له.

(ج) وأخيرا شهادة الواقع:

إن شهادة الواقع أعلى الشهادات لأن الانسان يصل بامتحانه إلى اليقين الذى لا يخالطه شك ونعنى بهذا أن يقوم الانسان بإجراء اختبار كامل لكل ما ورد عن

الرسول من قول أو فعل. فاذا ما وجد أن كل قول أو فعل مما يمكن أن يدخل تحت الاختبار لا يخرج عن الحق والصدق. لم يبق أمام الانسان الا طريق واحد هو الايمان والتصديق. وسنرى فى الباب الثانى القادم أن الاختبار الكامل للقرآن يجعلك على مثل الشمس وضوحا أن القرآن كله حق وصدق وأنه من عند الله، وسنرى فى الباب الثالث إن شاء الله أن الاختبار الكامل لنبوءاته، يدلك على أن المستقبل كان كشفا لها وتوكيدا. أما هنا فسننقل نماذج من مزاحه ومداعباته لنرى أنها لا تخرج عن الحق والصدق، ونماذج من وعوده وعهوده وصدقه فيها، ونماذج من أحاديثه التى يستطيع الإنسان أن يعرف صدقها بالاختبار، لنرى العجب فى مطابقة ما عرفه إنسان عصرنا بعد التجربة، لما نطقت به شفتا رسول الله من عصور. ثم نختم هذا الموضوع بالتذكير أن المصدر الوحيد الذى نستطيع أن نأخذ عنه العلم بالغيبيات بثقة هو رسول الله. فهو الحجة وحده فى هذا، وكلامه حجة على غيره فيه، مع مناقشة بعض القضايا التى لها علاقة بهذا الأمر ونبدأ باستعراض ما ذكرنا:

١- نماذج من صدقه فى مزاحه ومداعباته:

إن الناس عادة لا يلتزمون الصدق فى المزاح ولكن رسول الله داعب صادقا ومازح صادقا وألزم أمته الصدق فى كل حال. أخرج احمد عن أنس بن مالك: أن رجلا أتى النبى فاستحمله فقال رسول الله: إنا حاملوك على ولد ناقة فقال: يا رسول الله.. ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله: وهل تلد الابل الا النوق. رواه أبو داوود والترمذى. وقال زيد بن أسلم: إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبى فقالت: إن زوجى يدعوك قال: ومن هو؟ أهو الذى بعينه بياض؟ قالت والله ما بعينه بياض فقال: بلى إن بعينه بياضا فقالت لا والله. فقال: ما من أحد الا وبعينه بياض. هو أراد البياض المحيط بالحدقة وهى فهمت البياض على الحدقة الذى يكون الرجل أعور به.

وأخرج أحمد عن أنس: أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا، وكان يهدى النبى الهدية من البادية فيجهزه النبى إذا أراد ان يخرج. فقال رسول الله: إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه وكان رسول الله يحبه وكان رجلا دميما. فأتاه رسول الله وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل فقال: أرسلنى من هذا؟ فالتفت

فعرف النبى فجعل لا يألوا ما ألصق ظهره بصدر النبى حين عرفه وجعل رسول الله يقول: من يشترى العبد؟ فقال: يا رسول الله اذن والله تجدنى كاسدا فقال رسول الله: لكن عند الله لست بكاسد. أو قال: لكن عند الله غال. رواته ثقات فأنت ترى من سياق الحديث أنه عنى بالعبد عبد الله وكلنا عبد الله.

وأخرج الترمذى فى الشمائل عن الحسن قال: أتت عجوز النبى فقالت: يا رسول الله أدع الله أن يدخلنى الجنة فقال: يا أم فلان أن الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكى فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً** ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦].

وأخرج الترمذى فى الشمائل عن أنس قال: قال لى رسول الله يا ذا الأذنين. قال أبو أسامة يعنى يمازحه. وكل إنسان له أذنان فأنت ترى من هذه الأمثلة أنه داعب ومازح دون أن يخرج عن الحق والصدق ولكنه استعمل هذا الصدق استعمالا لطيفا، على غير المتعارف. ففهم المخاطب فيهما كانت فيه نكتة وهكذا كانت مداعباته كلها حقا.

أخرج الترمذى عن أبى هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا.. قال: إنى لا أقول إلا حقا. انها نبوة صدق وما كان للنبوة ان يكون للباطل عندها أو معها نصيب.

٢- نماذج من صدقه فى وعوده وعهوده:

أخرج أبو داوود عن عبد الله بن أبى الخنساء قال: «بايعت النبى ﷺ قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك. فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على. أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك».

وأخرج ابن حبان والحاكم: «كان ﷺ جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال: ان لى عندك موعدا يا رسول الله. قال: صدقت فاحتكم ما شئت. قال: أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها. قال: هى لك وقال: احتكمت يسيرا..».

وأخرج الحاكم عن حويطب بن عبد العزى فى قضية إسلامه وكيف انه عندما كان مشركا تولى مطالبة الرسول ﷺ بالجلاء عن مكة فى عمرة القضاء بعد انقضاء مدة الثلاثة أيام المتفق عليها يقول جويطب: «ولما قدم رسول الله ﷺ لعمرة القضاء وخرجت قريش من مكة كنت فيمن تخلف بمكة أنا وسهيل بن عمرو لأن نخرج رسول الله ﷺ إذا مضى الوقت، فلما انقضت الثلاثة أقبلت أنا وسهيل بن عمرو فقلنا: قد مضى شرطك فاخرج من بلدنا فصاح: يا بلال لا تغب الشمس وواحد من المسلمين بمكة ممن قدم معنا»..

وهذه فقرات من كتاب (بطل الأبطال) يحلل فيها صاحبه بعض مواقف الوفاء بالعهد والوعد التى وقفها رسول الله ﷺ يقول: «قبل سنة من هدنة الحديبية كانت قريش تحاصر المدينة وقد جمعت لذلك الأحزاب من أهل القرى والأعراب فنقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله. واشتد بذلك الكرب وزلزل المؤمنون زلزالا شديدا، ولكن الله نصر عبده، وأعزه وألقى الرعب فى قلوب المشركين، ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى كان جيش الاسلام بقيادة رسول الله يزحف الى مكة، فنزل الحديبية وبعثت قريش رسلها الى محمد ﷺ. وها هو ذا عروة بن مسعود الثقفى رسولها يعود إليها يصف حال محمد وجنده بهذه العبارة:

«إنى قد جئت كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه، والنجاشى فى ملكه، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه».

كان محمد فى منعة وقوة ولكنه كان يعلن أنه لا يريد الحرب، ويقول: لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم إياها. فلما جاءه سهيل بن عمرو مفوضا من قريش لعقد الهدنة يرجع بها محمد وجيشه عن دخول مكة، كان من شروط هذه الهدنة شرط ظاهر الغبن وهو أن محمدا يسلم الى قريش من لجأ اليه من المسلمين بغير إذن وليه ولا يطلب تسليم من لجأ الى قريش من أتباعه.

ذلك الشرط أهاج اصحاب محمد ﷺ حتى أن عمر رضى الله عنه كان يذهب تارة الى أبى بكر وتارة أخرى الى الرسول ويقول: ألسنا المسلمين! أليسوا المشركين! ألست رسول الله!.. فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ فيقول الرسول: أنا عبد الله

ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ويقول أبو بكر: أشهد أنه رسول الله. فقبول المسلمين هذه الشروط هو استسلام منهم لأمر لم يدركوا سره وكان ذلك أعظم بلاء وامتحان لصبرهم وبينما هم على هذه المضاضة وقد فرغ الرسول من الجدل مع مفوض قريش سهيل بن عمرو ولم يكتب العقد ولم يمض جاءهم أبو جندل مستصرخا يرسف فى قيوده وابو جندل هذا هو ابن سهيل بن عمرو نفسه فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلابيبه وقال: يا محمد لقد لجت القضية بينى وبينك ـ أى فرغنا من المناقشة ـ قبل أن يأتيك هذا. قال محمد: صدقت. وأبو جندل ينادى: يا معشر المسلمين! أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟ تصوروا ذلكم المقام. مقام محمد وهو الشجاع الذى حدثتكم عن شجاعته المنقطعة النظير وهو القوى الذى خرج من المدينة زاحفا بجيش. سمعتم الآن وصف عروة بن مسعود له تصوره وهو يرى أقرب أصحابه (فى حالة تذمر) ثم تصوروا لاجئا يرسف فى القيود وهو من أبناء الأعزة فى قريش يرسف فيها (اتباعا) لمحمد ودين محمد ثم انظروا إليه لا يحتال ولا يتردد ولما يكتب ولما يمض يقول لسهيل صدقت لقد لجت القضية ويرد صاحبه باكيا إلى أعدائه تصوروا كل ذلك ثم ليكتب الى من يشاء بمثل واحد تاريخ البشر كله كهذا المثل يضربه محمد فى رعاية الكلمة التى قالها ولما تكتب ولما تمض».

ويقول صاحب الكتاب ذاكرا مثلا آخر:

ثم انظروا الى وفائه للمشركين أيضا: كان بين شروط هدنة الحديبية أن من شاء دخل فى عقد محمد وعهده، ومن شاء دخل فى عقد قريش وعهدها. فدخلت خزاعة على شركها فى عهد محمد فلما نقضت قريش عهدها معه ونصرت حليفتها بكرا عليها. ذهب عمرو بن سالم الخزاعى يطالب (رسول الله) بالعهد ويطلب (منه) نصر حلفائه فوقف على رسول الله وهو فى المسجد ينشده ويقول:

يارب إنى ناشد محمـــــدا حلف أبينا وأبيه الأتـــلدا

فانصر هداك الله نصرا اعتدا وادع عباد الله يأتوا مـددا

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا أن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فكان ذلك الاعتداء على المشركين من حلفاء المسلمين سببا (فى تجهيز أضخم جيش عرفته الجزيرة والسير لنصرة الحليف وكان من آثار ذلك فتح مكة كما هو معروف) هذه أمثلة سقناها من وفاء (رسول الله) لأعداء الملة وقد عاهدهم . . أو قبل محالفتهم على غيرهم » .

هذه نماذج من صدقه فى وعده وعهده وسواها كثيرفما حدث أن وعد رسول الله أو عاهد فأخلف أو غدر . روى البخارى أن هرقل لما سأل أبا سفيان عن محمد هل يغدر أجاب أبو سفيان : لا _ فقال هرقل بعد ذلك : وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر » .

إن الغدر نوع من أنواع الكذب والخلف بالوعد كذب . والرسول عليه السلام منزه عن ذلك، ومن النماذج القليلة التى ذكرناها، ترى أنه ما أحد من البشر غير الرسل وصل الى ما وصل اليه الرسول فى الوفاء، لشرف الكلمة، إلا إذا كان تلميذا من تلامذته، يقتدى به . لقد كانت كلمة الرسول هى الضمان الذى ما بعده ضمان، حتى أن ألد خصومه وأعرقهم فى عداوته كان لا يتردد إذا تأكد أن محمدا أمنه أن يلقى نفسه فى أحضان المسلمين، ثقة منه أن كلمة محمد ضمان لا يعد له ضمان . ومن تتبع حوادث السيرة وجد الأمثلة الكثيرة على هذا، إنها صفة الصدق عند الأنبياء لا تتخلف .

٣- نماذج من حديثه الذى صدقته علوم عصرنا من غير النبوءات :

(أ) قال عليه السلام فى الحديث الصحيح : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى احد جناحيه داء وفى الآخر دواء » .

إن هذا الحديث ذكر قضيتين كلتاهما لم تكن معروفة قديما، أولاهما أن الذباب ناقل داء وهذا شئ أصبح الآن معروفا لدى الجميع أن الذباب ناقل جراثيم ممتاز . والثانية وهى التى يجهلها الكثير أن الذباب يحمل مضادات للجراثيم من النوع الممتاز كذلك وهذا تحقيق كتبه الدكتور عز الدين جوالة حول الموضوع ننقل منه ما يلزمنا هنا يقول :

« قبل الخوض فى هذا الموضوع لنتذكر ما يلى :

١- من المعروف منذ القديم أن بعض المؤذيات يكون فى سمها نفع ودواء، فقد يجتمع الضدان فى حيوان واحد فالعقرب فى إبرتها سم ناقع، وقد يداوى سمها بجزء منها وفى ذلك يقول العلماء « وقد وجدنا لمكون أحد جناحى الذباب داء والآخر شفاء ودواء فيما أقامه الله من عجائب خلقه وبدائع فطرته شواهد ونظائر. منها النحلة يخرج من بطنها شراب نافع ويكمن فى إبرتها السم الناقع، والعقرب تهيج الداء بإبرتها ويتداوى من ذلك بجرمها » .

٢- وفى الطب يحضر لقاح من ذبيب الأفاعى والحشرات السامة يحقن به لديغ العقرب أو لديغ الأفعى . بل وينفع فى تخفيف آلام السرطان أيضا .

٣- إن الطب الحديث استخرج من مواد مستقذرة أدوية حيوية قلبت فن المعالجة رأسا على عقب فالبنسلين استخرج من العفن والاستربتومايسين من تراب المقابر . . الخ أو بمعنى أدق من طفيليات العفن وجراثيم تراب المقابر . أما والحالة كذلك، فهل يمتنع عقلا ونظريا أن يكون فى الذباب هذه الحشرة القذرة، والتى تنقل القذر طفيلى أو جرثوم يخرج أو يحمل دواء يقتل هذا الداء الذى تحمله .

٤- من المعروف فى فن الجراثيم أن للجرثوم ذيفان (مادة منفصلة عن الجرثوم) وأن هذا الذيفان إذا دخل بدن الحيوان كون البدن أجساما ضد هذا الذيفان، لها قدرة على تخريب الذيفان والتهام الجراثيم تسمى بمبيدات الجراثيم .

فهل يستبعد القول بأن الذباب تلتهم الجراثيم فيما تلتهم، فيكون فى جسم الذباب الأجسام الضدية المبيدة للجراثيم والتى مر ذكرها، ولها القدرة على الفتك بالجراثيم الممرضة التى ينقلها الذباب الى الطعام أو الشراب . فإذا وقعت فى الطعام فما علينا إلا أن نغمس الذبابة فيه فتخرج تلك الأجسام الضدية فتبيد الجراثيم التى تنقلها وتقضى على الأمراض التى تحملها » .

وبعد كلام الدكتور عز الدين يستمر فينقل تحقيقا للطبيبين المصريين محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين فى إثبات ما فى الحديث ننقل بعضا منه، يقولان :

«ما تقوله المراجع العلمية:

فى عام ١٨٧١ وجد الأستاذ الألمانى «بريفلد» من جامعة هال بألمانيا أن الذبابة المنزلية مصابة بطفيلى من جنس الفطريات سماها «امبوزاموسكى» وهو طفيلى يعايش الذبابة على الدوام وبالتدقيق فيه وجده من نوع من الفطور التى تسمى «انتوموفترالى» تنتمى الى أهم فصيلة فى الفطور الأشنية وهى المسماه بالفطور الأشنية المرتبطة أو المتحدة، وهو من النوع الثانى للفطر المسمى الفطور الأشنية الطفيلية وهذا طفيلى يقضى حياته فى الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة بشكل خلايا مستديرة فيها خميرة خاصة سيأتى ذكرها. ثم لا تلبث هذه الخلايا المستديرة أن تستطيل فتخرج من الفتحات أو من بين مفاصل حلقات بطن الذبابة فتصبح خارج جسم الذبابة.

ودور الخروج هذا يمثل الدور التناسلى لهذا الفطر، وفى هذا الدور تتجمع بذور الفطر داخل الخلية، فيزداد الضغط الداخلى للخلية من جراء ذلك، حتى اذا وصل الضغط الى قوة معينة لا تحتملها جدر الخلية انفجرت الخلية وأطلقت البذور الى خارجها بقوة دفع شديدة، تدفع البذور الى مسافة ٢ سم خارج الخلية، على هيئة رشاش مصحوبا بالسائل الخلوى. وعلى هذا إذا أمعنا النظر فى ذبابة ميتة ومتروكة على الزجاج نشاهد:

(أ) مجالا من بذر هذا الفطر حول الذبابة المذكورة.

(ب) ويشاهد حول القسم الثالث والأخير من الذبابة على بطنها وعلى ظهرها وجود الخلايا المتفجرة. والتى خرجت منها البذور وقد برز منها رؤوس الخلايا المستطيلة التى مر ذكرها. وقد جاءت مكتشفات العلماء الحديثة مؤيدة ما ذهب إليه «بريفلد» ومبينة خصائص عجيبة لهذا الفطر الذى يعيش فى بطن الذبابة منها:

١- فى عام ١٩٤٥ أعلن أكبر أستاذ فى علم الفطريات وهو «لانجيرون» أن هذا الفطر الذى يعيش دوما فى بطن الذبابة على شكل خلايا مستديرة فيها خميرة خاصة «أنزيم» قوية تحلل وتذيب من أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

٢- فى عام ١٩٤٧-١٩٥٠ تمكن العالمان الأنجليزيان «آرنشتين وكوك» والعالم السويسرى «روليوس» من عزل مادة سموها «جافاسين» استخرجوها من فصيلة

الفطور التى تعيش فى الذباب وتبين لهم أن هذه المادة مضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم غرام السالبة والموجبة والديزونتاريا والتيفوئيد.

٣- وفى عام ١٩٤٨ تمكن «بريان وكورتيسر وهيمنغ وجيفرس ماكجوان» من بريطانيا من عزل مادة مضادة للحيوية أسموها «كلوتيزين» وقد عزلوها عن فطريات تنتمى الى نفس فصيلة الفطريات التى تعيش فى الذباب وتؤثر فى جراثيم غرام السالبة كالتيفوئيد والديزونتاريا.

٤- وفى عام ١٩٤٩ تمكن عالمان انجليزيان هما «كومسى وفارمر» وعلماء آخرون من سويسرا هم «جرمان وروث واثلنجر وبلاتنر» من عزل مادة مضادة للحيوية أيضا أسموها «انياتين» عزلوها من فطر ينتمى الى فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذباب ووجدوا لها فعالية شديدة جدا، وتؤثر بقوة على جراثيم غرام موجب وسالب وعلى بعض فطريات أخرى كالزحار والتيفوئيد والكوليرا.

٥- وفى عام ١٩٤٧ عزل «موفيتش» مواد مضادة للحيوية من مزرعة للفطريات الموجودة على نفس جسم الذبابة، فوجدها ذات مفعول قوى على الجراثيم السالبة لصبغة غرام، كالزحار والتيفوئيد وما يشابهها ووجدها ذات مفعول قوى على الجراثيم المسببة لأمراض الحميات ذات الحضانة القصيرة المدة. وأن جراما واحدا من هذه المادة يمكنه أن يحفظ أكثر من ١٠٠٠ لتر من اللبن المتلوث بالجراثيم المذكورة.

والخلاصة.. يستدل من كل ما سبق أنه:

١- يقع الذباب على الفضلات والمواد القذرة والبراز وما شابه ذلك، فيحمل بأرجله أو يمج كثيرا من الجراثيم المرضية الخطرة.

٢- يقع الذباب على الأكل فيلمس بأرجله الملوثة الحاملة للمرض هذا الطعام، أو هذا الشراب، فيلوثه بما يحمل من سم ناقع، أو يتبرز عليه فيخرج مع ونيمها تلك الجراثيم الدقيقة الممرضة.

٣- فإذا حملت الذبابة من الطعام. وألقيت خارجه دون غمس، بقيت هذه الجراثيم فى مكان سقوط الذبابة، فإذا التهمها الآكل وهو لا يعلم طبعا. دخلت فيه الجراثيم. فاذا وجدت أسبابا مساعدة، تكاثرت ثم صالت وأحدثت لديه المرض، فلا يشعر إلا وهو فريسة للحمى طريحا للفراش.

٤- أما إذا غمست الذبابة كلها، أو مقلت فى الطعام فماذا يحدث؟ إذا غمست الذبابة أحدثت هذه الحركة ضغطا داخل الخلية الفطرية الموجودة مع جسم الذبابة فزاد توتر البروز والسائل داخلها زيادة تؤدى لانفجار الخلايا، وخروج الانزيمات الحالة لجراثيم المرض والقاتلة له. فتقع على الجراثيم التى تنقلها الذبابة بأرجلها فتهلكها وتبيدها، ويصبح الطعام طاهرا من الجراثيم المرضية.

٥- وهكذا يضع العلماء بأبحاثهم تفسيرا للحديث النبوى المؤكد لضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء ليخرج من بطنها الدواء الذى يكافح ما تحمله من داء.

ويستنتج من ذلك أن العلم الحديث قد حقق ما أخبر عنه ﷺ.

فقد أثبت العلم الحديث أن الذباب ينقل الجراثيم والأقذار بأرجله من النفايات والكنف والمزابل إلى الأطعمة والأشربة، والى فتحات الوجه والتنفس فيسبب الأمراض المعدية من تيفوئيد وسل وكوليرا وغيرها، وهذا ما أخبر عنه المصطفى ﷺ من أن بأحد جناحى الذبابة داء.

والداء يجب الوقاية منه والبعد عنه، ولا يكون ذلك إلا بمكافحة الذباب وإبادته والاحتراس منه.

ويقرر العلم الحديث أيضا كما رأينا أن فى الذباب طفيليا له ذيفان ضد الجراثيم، ويفتك بها بشدة وأن هذا الذيفان لا ينفصل عن جرثومه الا بعد وصول توتره الى درجة معينة، يكفى لبلوغه الضغط عليه بغمسه ولو فى الشراب أو الطعام. وهذا ما ورد فى الحديث عنه ﷺ، ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣، ٤].

(ب) عن عائشة أن فاطمة بنت أبى حبيش سألت النبى ﷺ فقالت: إنى أستحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة؟ فقال: « لا.. إن ذلك دم عرق، ولكن دعى الصلاة قدر الأيام التى كنت تحيضين فيها ثم اغتسلى وصلى ».

المسألة هنا كما يلى: للمرأة عادة شهرية يخرج فيها الدم من رحمها كأثر من آثار عدم تلقيح بويضة الأنثى بماء الذكر والدم الذى يخرج منها فى هذه الحالة يسمى

دم حيض وهذه المرأة يخرج منها الدم دائما وكانت تتصور أن هذا الدم كله دم حيض ولكن الرسول أفهمها أن هذا الدم ليس دم حيض ولكنه نزيف عرق.

فماذا يقول العلماء المختصون المعاصرون الآن فى هذه الناحية؟

يقولون: إن الدم الوحيد الذى يخرج من الرحم هو دم الحيض والنفاس أما الدم الآخر الذى يكون فى غير هذا فمرجعه إلى نزيف بحدث فى بعض الأغشية مما لا علاقة له بالرحم، ودم الحيض الذى يخرج منه فهل كان حديث أهل الاختصاص فى عصرنا الا مصدقا لما قاله عليه السلام من عصور لم يكن هذا فيها معروفا؟

(ج) روى مسلم عن طارق الجعفى أنه سأل النبى عن الخمر فنهاه عنه فقال: إنما أصنعها للدواء فقال: «إنه ليس بدواء ولكنه داء».

إن هذا الحديث يذكر أن الخمر من أسباب المرض وليست من أسباب الشفاء. فماذا يقول الأطباء فى عصرنا؟ ننقل للجواب على هذا ما ذكره صاحب كتاب «روح الدين الإسلامي» فى هذا الموضوع وقد نقل هو قسما من بحثه عن كتاب «الاسلام والطب الحديث» يقول:

«الخمر أساسها مادة الكحول بكميات مختلفة، وهذه المادة توجد بنسبة خفيفة جدا فى جسم الإنسان فى عملية هضم المواد السكرية.. ولها فوائدها طبيا ولكن يظهر أن هذه الفوائد قاصرة على هذا القدر البسيط جدا (وطبعا الحديث لم يذكر أن ما يجرى داخل الجسم من عملية التخمر فيه ضرر ولكن الكلام فيما نخمره ثم نشربه) فإن زاد عن ذلك أحدث ضررا خصوصا إذا كان التعاطى لمدة طويلة، فإنه يحدث التهابا مزمنا فى الأعصاب وفى الكلى، وتصلبا فى الشرايين وتحجرا فى الكبد، وضعفا فى القلب ورب سائل يقول: لم لا يؤخذ منه مقدار بسيط؟ (وطبعا لا يسأل هذا السؤال إلا إنسان يجهل أن الجسم متى اعتاد على الكحول، طلبه وغلب الإنسان، فلم يعد يستطيع الصبر عنه) والجواب أن الكحول يختلف عن أغلب المواد فى أنه حتى بالمقادير البسيطة يحدث ضعفا فى قوة الارادة والحكم، وتزداد به الانفعالات النفسانية، وهذا هو الخطر، لأن الشخص يصبح شخصا آخر، وإرادته تصبح غير إرادته الطبيعية، ومع علمه بضرر الزيادة فى حالته الاعتيادية لا يقوى على منع نفسه، وهو

تحت تأثير البسيط منه وقد يحدث الشئ منه حركة انتعاش ولكن ضعف الارادة المتولدة منه يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر.

وإن تأثير الخمر يبدأ بمجرد وصول عشرة جرامات من الكحول الى الدم للشخص البالغ، وهذا القدر يوجد فى كأس واحدة من الويسكى أو الكونياك، وقد لا يصل الشخص الى درجة السكر، ولكن على كل حال له أثر ملموس فى حالة الشخص الجسمية والعقلية، وإذا فحص الشخص فى هذه الحالة، نجد أن درجة إدراكه وتقديره قد تغيرت فعلا، فهو مثلا إذا كتب على الآلة الكاتبة، زادت أخطاؤه عن المعتاد، واذا قاد سيارة لم يتبع بالضبط قوانين المرور. وقد ثبت من الاحصائيات أن أكثر من ١٣ فى المائة من حوادث المرور سببها الخمر.

والجرعة الواحدة من الخمر تحدث شيئا من الارتفاع فى ضغط الدم، وهذا الارتفاع وحده قد لا يكون له ضرر كبير ولكن الضرر يتضاعف إذا كان الشخص مرتفع الضغط من نفسه، ثم إذا كانت كمية الخمر وافرة كانت كافية لأن تحدث هيجانا يزيد فى الضغط لدرجة ينفجر معها شريان فى المخ، يسبب شللا قد ينجو منه الشخص جزئيا أو لا ينجو كلية، إذ من المعلوم أن الشخص الذى ضغطه الدموى مرتفع يجب أن يلتزم الهدوء فى حياته، لأن أى هيجان يزيد فى ارتفاع الضغط يعرضه لانفجار شريانى، والسكران لا يمكنه أن يضبط عواطفه، وبالتالى لا يمكنه أن يضمن لنفسه هذا الهدوء.

والخمر تحدث عند غير المتعود عليها احتقانا فى المعدة، قد يسبب غثيانا أو قيئا، وإذا كانت الجرعة كبيرة سببت التهابا فى المعدة وعسر هضم يمتد الى بضعة أيام.

ويرى بعض الأطباء أن الخمر ولو كانت قليلة جدا، فهى ضارة بالخميرات فى طول القناة الهضمية. وهذه الخميرات ضرورية لسير حركة الهضم سيرا طبيعيا. والخمر لها تأثير فى الوراثة. فقد شوهد أن أولاد السكيرين ينشأون غير صحيحى الجسم، ضعفاء البنية ناقصى العقول، ويكون لديهم ميل الى الاجرام ودافع الى الشر. وأن من يبحث فى كتب الطب يتولاه العجب عندما يقرأ مسببات الأمراض المختلفة. إذ يجد للخمر نصيب الأسد فى ذلك.

لقد أصبحت فكرة التداوى بالخمر محض خرافة وتأكد كونها داء بعشرات الطرق، وأقل ما فيها ما ذكره «بتنام» فى كتابه أصول الشرائع: النبيذ فى الأقاليم الشمالية يجعل الإنسان كالأبله وفى الأقاليم الجنوبية يصير كالمجنون.

ولعله وضح بعد هذا كيف أن كلمة الرسول لا ينقضها شئ لأنها محض الحق والصدق الذى لا تزيده الأيام إلا تثبيتا وتأكيدا.

(د) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله» رواه مسلم، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله من داء الا أنزل له دواء» رواه البخارى. وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام» أخرجه أبو داوود. هذه الأحاديث تلح على أن لكل داء دواء فماذا قال الواقع؟

لقد قال الواقع ولا يزال يقول كل يوم أن ذلك حق لا مرية فيه، ففى كل يوم يكشف أهل الاختصاص دواء لداء لم يكن له دواء معروف. ولعلك تلاحظ أن العلماء مقبلون على محاولة اكتشاف دواء كل داء بروح الواثق أنه لابد أن يكون لكل داء دواء وإن جهلوه الآن، ولكن لابد واجدوه. فأخذت هذه القضية مأخذ البديهية فى أذهانهم، وفى ذلك كله تجد كيف أن كلمة رسول الله لا تنتقض بل هى الصدق كل الصدق.

(هـ) مما قرره علماء الظواهر الطبيعية فى عصرنا أن ما ينزل سنويا من الأمطار فى العالم لا يتغير مقداره بتاتا، فلا يزيد ولا ينقص ولو مقدار بسيطا، وعللوا ذلك بأن ما تقدمه الشمس من الحرارة نسبته ثابتة. والعوامل الأخرى التى تشارك فى وجود ظاهرة المطر تبقى ثابتة بالنسبة لمجموع الكرة الأرضية. فعلى هذا تكون نسبة بخار الماء فى الجو سنويا ثابتة ونسبة الأمطار بالتالى لا تتغير بتاتا فى كل عام، وأما ما نراه من كون المطر ينزل فى منطقة واحدة بنسب مختلفة خلال سنين، فهذا لا يؤثر على جوهر القضية، لأنه ينقص فى مكان على حساب زيادته فى مكان آخر، فالنسبة بالنسبة للعالم كله واحدة وإن اختلت بالنسبة لكل منطقة على حدة.

وانظر بعد هذا الذى قدمناه إلى هذا الأثر تجد أن علماء عصرنا ما زادوا على أن

أكدوا مضمونه ليكون جزءا من شهادة الواقع على صدق الرسول عليه السلام والأثر هو: «ما عام بأمطر من عام».

(و) روى أبو داوود والترمذى عن ابن عباس حديث دخوله وخالد ابن الوليد مع رسول الله على ميمونة. ومن الحديث قال: قال ﷺ: «من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شئ يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن».

إن هذه الحقيقة التى أشار إليها الحديث وهى كون الحليب هو الغذاء الكامل وأى غذاء آخر يبقى فيه نقص كغذاء منفرد، أصبحت الآن تجدها فى أى كتاب عن علم التغذية يصدر الآن، وذلك بعد أن تقدمت وسائل التحليل والتجريب، وتقدمت الإنسان دالة له على ما ينفع ويضر، فان النتيجة التى أوصلت إليها إنسان عصرنا فى هذا الموضوع كانت متناسقة تماما مع ما أشار إليه الرسول فى الحديث بشكل واضح، وهذه الحقيقة على بساطتها تدلك كيف أن الكلمة النبوية كلها حق وصدق لا يزيدها مرور الأيام إلا ثباتا.

(ز) نشر الدكتور «جراد فنتسر» فى مجلة كوسموس الألمانية مقالا تحت عنوان: الأخطار التى تنشأ عن اقتناء الكلاب والاقتراب منها.

جاء فيه:

«إن ازدياد شغف الناس بالكلاب فى هذا العهد الأخير، يضطرنا الى لفت الأنظار للأخطار التى تنجم عن ذلك وخاصة إذا دفع اقتناؤها الى مداعبتها وتقبيلها، والسماح لها بلحس الأيدى وتركها تلعق فضلات الطعام من أوانيها. فكل ما ذكر مع نبوه عن الذوق السليم، ومنافاته للآداب، لا يتفق وقوانين الصحة فان الأخطار التى تهدد صحة الانسان وحياته بسبب هذا التسامح لا يستهان بها، فإن الكلاب تصاب بدودة شريطية تتعداها إلى الإنسان وتصيبه بأمراض عضالة قد تصل الى حد العدوان على حياته».

وقد ثبت أن جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجما لا تسلم من الإصابة بهذه الديدان الشريطية.

وقد رؤى فى إقليم فريزلند بهولندة حيث تستخدم الكلاب فى الجر، ان فى كل مائة منها ١٢ إصابة. ووجد فى اسلانده شخص مصاب بهذه الآفة فى كل ٤٣ شخصا من أهاليها. وشوهد أن هذه النسبة تزيد فى استراليا إذ ثبت وجود شخص فى كل ٣٩ شخصا من سكانها مصابا بها. وثبت كذلك أنها كانت سببا مباشرا للكثير من الأمراض فى الأقطار الأخرى.

ثم يقول: ومما تجب على الناس مراعاته عدم مداعبة الكلاب، وتعويد الأطفال التوقى منها. فلا تترك تلعق أيديهم ولا يجوز إبقاء الكلاب بمجال نزهة الأطفال، وميادين رياضتهم، ويجب أن لا تطعم الكلاب فى الأوانى المعدة لأكل الناس وأن لا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العامة أو المطاعم. وعلى وجه عام يجب إبعادها عن كل ما له صلة بمأكل الانسان ومشربه».

وإن من كشوفات عصرنا استخراج كثير من مبيدات الجراثيم من التراب وخاصة تراب المقابر، لأنه أكثر من غيره تلوثا، فمثلا الستربتومايسين والتتراسكلين والنيوماسين، وكلها من مبيدات الجراثيم استفيد من التراب فى استخراجها لوجود ذيفان فى جراثيمه يقضى على أنواع من الجراثيم الأخرى.

ضع ما مر كله فى ذهنك واقرأ هذا الحديث:

روى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب». انك ترى أن كشوفات عصرنا قد برهنت على صدق ما دلنا عليه الحديث.

٤- وأخيرا: فإنه ما من كلمة قالها رسول الله إلا وكان الحق والصدق ملأها. ولكن كلام رسول الله ينقسم الى قسمين:

١- ما له علاقة بالغيب.

٢- ما له علاقة بالمشهود المحسوس.

فالنوع الثانى فقط هو الذى يستطيع الانسان أن يختبره فإذا ما ثبت صدقه فيه كان ذلك آية صدقه على الأول مع جعل الله علامات أخرى تكون دليل صدقه فى أمر

الغيب، هى المعجزات والنبوءات. فرسول ثبت صدقه فى كل شئ مع هذه المؤيدات فلا يبقى مجال أمام الإنسان إلا التسليم له.

ونحب أن نذكر هنا بعض الملاحظات المهمة بمناسبة كلامنا عن صفة الصدق عنده عليه السلام:

الملاحظة الأولى: أن معرفة صحة الحديث، وتأكد ثبوته عن رسول الله. ينبغى أن يسبق دراسة المضمون. لأن كثيرا من الكلام دسَّ عليه وقد قام العلماء بتمحيص الصحيح من كل ما روى عنه عليه السلام كما سيمر معنا فى كتابنا «جند الله ثقافة وأخلاقا» فلابد من الرجوع الى ما أثبتوه أولا، ليكون تحليل المضمون قائما على أساس سليم، وينبغى أن يتوفر هذا فى كل دراسة لها علاقة برسول الله.

الملاحظة الثانية: أن بعض الألفاظ فى اللغة العربية نقلت من مدلولاتها اللغوية الى مدلولات شرعية، فصارت تطلق على كلا المدلولين، وقد تستعمل فى القرآن وفى حديث الرسول تارة بالاستعمال الأول، وتارة بالاستعمال الجديد فلابد لدارس النص من أن يتأكد أولا من نوعية استعمال اللفظ فى النص الخاص الذى يدرسه. فمثلا كلمة «السماء» ذكرت أحيانا فى القرآن للدلالة على المعنى اللغوى وهو كل ما علا. وذكرت أحيانا للدلالة على السماء التى هى سكن الملائكة وفيها ما فيها من عالم الغيب فلابد لدارس نص فيه مثل هذا أن يعرف بواسطة القرائن أولا المقصود الحقيقى من اللفظ فى هذا المحل. وقد أخطأ كثيرون بفهم النصوص نتيجة لعدم وضوح هذا عندهم، فعرضوا قضايا على أنها حقائق وهى ليست كذلك، وأنكروا قضايا هى من باب الحقائق، وهم فى كلا الحالين متوهمون، وجعلوا توهمهم من الاسلام، فحملوا الاسلام ما ليس منه جهلا.

الملاحظة الثالثة: ان بعض الأمور تكون نتيجة لعوامل كثيرة، كل عامل من هذه العوامل يكون سببا من عدة أسباب مؤثرة فيه، وفى هذه الحال. لو ذكر إنسان سببا فقط ولم يذكر الآخر لا يعنى هذا أنه ينفى البقية. فمثلا قد يكون الكسل نتيجة لاجتماع الحر والتعب والضجر والعادة والملل، وقد تجتمع هذه الأسباب كلها عند إنسان، فلو قلت لهذا الإنسان: الحر جعلك تكسل لا يعنى هذا أننى أنفى الأسباب

الأخرى لكسله، وهناك كثير من القضايا ربطها الله بأسباب حسية وأسباب غيبية كالموت مثلا. فإن له سببا حسيا هو المرض وآخر غيبيا هو قبض الروح من قبل الملك الموكل بذلك، وأمور كثيرة من هذا النوع، والقرآن والحديث قد يتحدثان فى موقف عن السبب الحسى لقضية، وقد يتحدثان فى موقف آخر عن السبب الغيبى لها ولا يعنى أن ذكر أحدهما فى موطن نفى الثانى.

ومن هنا نجد أن كثيرين من الناس يتوهمون فى فهم بعض النصوص، فتراهم إذا قرأوا نصا يتحدث عن السبب الغيبى فقط لقضية لها سبب حسى كذلك، أنهم ينفون السبب الحسى أو العكس فى القضايا المقابلة، وذلك جهل عظيم يقابله جهل الذين يثبتون السبب الحسى فقط، ولا يثبتون معه السبب الغيبى الذى أخبرنا به الرسول الصادق. إن القوارع والجوائح والمصائب التى تصيب بنى البشر لها أسبابها العادية، ولا يتنافى هذا مع كونها بقدرة الله وإرادته انتقاما من الناس بما صنعوا وتذكيرا لهم حتى يرجعوا، قال تعالى: ﴿ **ولاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ** ﴾ [الرعد: ٣١].

الملاحظة الرابعة: تمتلئ كتب التصوف الإسلامى بالحديث عن انكشاف بعض عوالم الغيب للناس من الصوفيين ويقولون: إن أى إنسان يفعل ما يفعلون يصل الى مثل الذى يصلون اليه من مثل هذه المشاهدات التى تزيد فى يقين الانسان، ويلاحظ أن من الذين يقولون مثل هذا الكلام ناسا مجمعا على توثيقهم وصدقهم. وهذا لاشك من جملة المؤكدات لصدق رسالة الرسول. ولكنا نحب هنا أن نذكر بعض الضوابط لنعرف حدود ما يمكننا قبوله من هذا الكلام فنقول:

١ – أن إمكانية رؤية بعض عوالم الغيب ضمن شروط معينة جائزة. أشار اليها الرسول ﷺ ووقعت لبعض الصحابة، فقد روى أحمد قول رسول الله لأصحابه وهو يسمع عذاب القبر: «لو لا تمرغ قلوبكم وتزيدكم فى الحديث لسمعتم ما أسمع». وقد روى مسلم قول رسول الله ﷺ لأبى بكر وحنظلة: «والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وساعة ساعة وساعة». وأخرج البخارى عن

أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت الفرس ثم قرأ فجالت وكان ابنه يحيى قريبا منها فانصرف فأخره ثم رفع رأسه الى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فلما أصبح حدث النبى ﷺ فقال: وتدرى ما ذلك؟ قال: لا. قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر اليها الناس، لا تتوارى منهم». وأخرج الشيخان والترمذى عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبى ﷺ فذكر له ذلك فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن».

٢- لكنا لا نستطيع قبول كلام يدعى صاحبه أنه رأى من مثل هذا إلا بشروط منها:

(أ) أن يكون ممن تقبل شهادته فالفاسق والمبتدع والضال جميع هؤلاء لا تقبل شهادتهم وكلامهم فى مثل هذه القضايا.

(ب) وأن يكون هذا الإطلاع كأثر من آثار التزامه بشريعة الله، وسنة رسول الله. فلا نقبل كلام إنسان ادعى أنه شاهد من مثل هذا باتباعه طريقا لم يشرعه لنا رسول الله، لأنه بعمله فسق والفاسق لا شهادة له.

(ج) وأن يكون ما اطلع عليه من عالم الغيب متفقا مع ما أخبر عنه رسول الله فى هذه القضية، لأن رسول الله ﷺ وحده الذى لا يمكن أن يكون فى كلامه خطأ، ولأن الله جعله الحجةعلى الناس فى كل شئ فلا نقبل كلام إنسان ينقضه نص.

(د) وألا يكون مدعاه أنه شاهد شيئا تستحيل مشاهدته شرعًا فى قوانين كوننا الحالية. أو يرتب على مشاهدته تشريعات محدثة فمن توفرت فيه هذه الشروط وأخبرنا أنه قد حدث له من هذه الكشوفات، فلا علينا لو قبلنا كلامه إذ لا مبرر لتكذيبه، ولم يعرف عنه الا الصدق، ولعل الفارق بين العقل الخرافى والعقل العلمى هو التثبت لا الانكار دون مبرر، فهذا نوع من المرض العقلى يشبه المرض الآخر.

الملاحظة الخامسة: أن هناك ظواهر غيبية كثيرة تحتاج إلى تحليل ووضع لها فى محلها الصحيح:

١- ظاهرة الأحلام.

٢- ظاهرة التنويم المغناطيسى.

٣- ظاهرة تحضير الأرواح.

٤- ظاهرة الاتصال بعالم الجن.

٥- ظاهرة التلباثى.

هذه الظواهر أخذت محلها الآن فى معرض الحقائق وكل منها يدعم قضية الإيمان بعالم الغيب من زاوية من الزوايا، بصرف النظر عن تعليل هذه الظواهر، إلا أنها جميعا تشير الى قضية واحدة هى وجود عالم غيبى كما أخبر الرسل، تمثل هذه الظواهر جزءا منه.

فانكشاف شئ من المستقبل البعيد للانسان وهو فى حالة النوم، ووقوعه فى كثير من الأحيان حرفيا دون أن يكون فى بعض الحالات تفكير مسبق عنه، دليل على وجود علم محيط بالمستقبل، هو غيب بالنسبة لنا.

وظاهرة التنويم المغناطيسى تدل بشكل لا يقبل الجدل، على وجود الروح وعلى أن لها قوانينها وعالمها الخاص، فالانسان فى حالة النوم المغناطيسى، تكون حواسه كلها معطلة، وحتى الأفعال الانعكاسية كذلك تكون فى حالة شلل تام، حتى لو وخزت النائم بإبرة فانه لا يظهر عليه أى شعور، ومع ذلك فانك تسأله عن أشياء بعيدة عنه، فيحدثك عنها وكأنه يراها وهو لا يعرفها فى حالة اليقظة، ولا يستطيع لو كان مستيقظا أن يجيب على أى سؤال مما أجاب عليه وهو نائم، فإذا استيقظ من هذا النوع من النوم فانه لا يتذكر شيئا مما سئل عنه وأجاب. وهذه نقول عجيبة سجلت فى حالات التنويم المغناطيسى:

نقل «بيو» فى كتابه: المخاطبات على التنويم المغناطيسى هذه المحاورة بين منوم ومنومة كما نقلها «شارول» قالت المنومة «هل تسمع ما يأمرنى به؟» فقال الدكتور: من هو الذى يأمرك؟ فقالت هى: ألست تسمعه فقال: كلا، لم أسمع شيئا ولم أر أحدا. فقالت: حقيقة لأنك نائم وأنا يقظى. فقال لها الدكتور: كيف ذلك أتدعين

أنى نائم وأنت يقظى، مع أنك تحت تأثير إرادتى فى الحالة المغناطيسية، إنك تتوهمين أنك يقظى لكونك تكلمينى، وأنك متمتعة بنوع من الإرادة، ولكنك فى الحقيقة لا تستطيعين أن تفتحى جفنيك. فقالت: إنى أكرر لك القول بأنك أنت النائم وأنا بالعكس اليقظى تماما على مثل الحالة التى سنكون عليها جميعا فى يوم ما لأفسر لك ذلك. إن كل الذى تستطيع أن تراه أنت ليس إلا أشكالا غليظة مادية، فلا يمكن أن تميز إلا أشكالها الظاهرة، ولكن جمالها الحقيقى محجوب عنك تماما أما أنا ففى حالة وقوف وظائف أعضائى الآن وفى حالة حرية روحى من علائقها الاعتيادية، فإنى أرى ما هو مستور عنك وأسمع ما لا يمكنك سماعه، وأفهم كل ما هو غير مفهوم لديك إلى أن قالت: وأنى بمجرد الارادة استطيع أن أسمع الأصوات ا لبعيدة عنى ولو كان بينى وبينها مائة فرسخ. وبالإختصار فإنى لا أحتاج أن تأتى الأشياء إلى أنا بل أذهب إليها حيثما كانت، وأحكم على حقيقتها بطريقة أضبط مما يحكم بها عليها أى أنسان آخر لا يكون فى الحالة التى أنا عليها.

ونقل «أكزاكوف» فى كتابه: المذهب الروحى وفن استحضار الأرواح ما يلى:

إن زوجة الانجليزى الشهير «دومرجان» معتادة على تنويم امرأة وجعل روحها تخرج من جسدها وتذهب الى المحل الذى تعينه لها فقالت لها يوما وهى تحت تأثير النوم المغناطيسى: اذهبى الى منزلى القديم فقالت المنومة: قد فعلت وطرقت الباب بشدة. قالت زوجة دومرجان: فذهبت فى اليوم التالى لأتأكد من صدقها. وسألت عما حصل فى تلك اللحظة فأجابنى السكان بأنهم سمعوا طرقا شديدا على الباب. فذهبوا اليه فلم يجدوا أحدا فعلموا أن ذلك فعل الأشقياء من الأطفال.

وينقل أكزاكوف كذلك حادثة أخرى لها علاقة بظاهرة تحضير الأرواح، هى أنه كان يحضر روحا مع ثلة من إخوانه، وكانت الواسطة امرأة شهيرة هى مدام «دسبرانس» فشاهد أن الروح تجسدت من نصفها الأعلى وأن الواسطة التى هى المرأة قد فقدت أطرافها السفلى تماما. وقد فحصوا ذلك بأيديهم وأعينهم وهم فى غاية الدهشة. فلم يجدوا لأطرافها أثرا ثم لما ذهبت الروح عادت اليها أطرافها. وقد شاهد مثل هذه الحادثة التى فيها يفنى جسد الواسطة كله أو بعضه علماء آخرون.

وظاهرة تحضير الأرواح كظاهرة التنويم المغناطيسى أصبحت منتشرة فى كل مكان فى العالم. وهى تدل بمجملها على وجود عالم الغيب. إذ الأرواح التى تحضر: قسم منها يذكر أنه أرواح بشر. وأخرى تذكر أنها أرواح جن، وهى كما رأيت فى بعض مظاهرها، تريك كيف أن بعض الأجسام لا ترى مع وجودها إذا كانت فى حالة روحية معينة.

واما ظاهرة التلباثى وهى الظاهرة التى تحدث لبعض الناس. إذ يشاهدون حوادث بعيدة جدا بشكل خارق، فهى كذلك تدل على أن فى الانسان شيئا غير الجسد، وأما ظاهرة الاتصال بالجن وهى ظاهرة موجودة بشكل واضح فى بعض المناطق ولها خصائصها الغريبة. فهى تؤكد بشكل ما وجود عالم الجن والشياطين الذى أخبر عنه الرسل. هذه الظواهر كلها تشير وتؤكد إلى أن هناك عالم غيب ولكن هذه الظواهر كلها لا يصح أن تكون وسيلة من وسائل المعرفة وطريقا من طرق الهداية إذ ما من واحدة منها فيها ضمانة على أنها طريق سليم للمعرفة إذ يختلط بها الكذب بالصدق، والحق بالباطل، وروح الشيطان بروح الإنسان. وليست هناك مسئولية محددة، كما ان للدجل فى كثير من أحوالها نصيبا. لذلك يبقى أمام الانسان طريق وحيد مأمون لمعرفة عالم الغيب. هو طريق الرسول المؤيد بالمعجزة من عالم الغيب، وهى شهادة ضمان كاملة على الحق. عدا عن كون البلاغ يأتينا عن مصدر ثقة مسئول مشاهد لنا معروف. وما دام الرسول وحده هو المصدر الوحيد للمعرفة فى موضوع عالم الغيب. فينبغى أن يعرض استخدام هذه القضايا على هديه. ليعرف حكم الجواز أو عدمه، كما ينبغى أن يعرض ما يأتينا منها على هديه ليعرف وجه الحق فيه، ولا يصح أبدا أن نعتبر أمثال هذه الطرق وسيلة من وسائل المعرفة الجازمة أو طريقا من طرق الهداية المستقلة.

الملاحظة السادسة: أن سبب التزامنا ا لكامل بقول الرسول كمقياس وحيد للحق، هو أنه وحده الذى كلفنا الله باتباعه وتصديقه، وألزمنا ذلك وأقام علينا الحجة فيه بالعلامات الكثيرة التى جعلها مؤيدة لها، وشاهد صدق عليه. فكان هذا ضمانا لنا بأنه على الحق والصدق اللذين لا شبهة فيهما. لأن الله وحده هو المحيط علما بكل

شئ، والمنزه عن كل خطأ، وهذا رسوله الذى ينطق بأمره ووحيه، فهو كذلك منزه عن الخطأ والباطل برعاية الله وتعليمه. وهذه شهادة الواقع تثبت أن الحق كل الحق فى كل كلمة قالها رسول الله.

ذكرنا هذه الملاحظات الستة فى معرض الحديث عن صفة الصدق عند رسول الله لأن الذى يصرف بعض الناس عن الايمان شبهة لها علاقة بواحدة من هذه الملاحظات، كذلك الذى يستبعد وجود عالم غيبى، أو كذلك الذى أشكل عليه نص، أما لأن النص غير صحيح النسبة لرسول الله أو لعدم حمل الحديث على المعنى المراد أو لقصور الأطلاع وهكذا..

وعلى كل فإن ما كتبناه هنا عن صفة الصدق لرسول الله هو مقدمة البرهان عليها. وإلا فإن هذا البحث كله بأبوابه الخمسة كله برهان عليها وتأكيد لمضمونها بالشكل الذى يثلج القلب بإذن الله ببرد اليقين.

والآن ننتقل لاستعراض الصفة الأساسية الثانية للرسل وحظه الأكمل منها عليه الصلاة والسلام وهى:

٢- التزامه الكامل بتطبيق ما يدعو إليه عليه السلام:

شهدت البشرية فى تاريخها الطويل انفصالا بين المثل والواقع. بين المقال والفعال، بين الدعوى والحقيقة، وكان دائما المثال والمقال والدعوى، أكبر من الواقع والفعال والحقيقة، وهذا شئ يعرفه من له أدنى معرفه بالتاريخ والحياة، غير أن هذه الظاهرة تكاد تكون مفقودة فى واقع أتباع الرسل المخلصين وعلى عكسها تماما فى حياة الرسل، إذ فى حياة الرسل تجد أن واقعهم أعظم من كل تصور نظرى، فهم وحدهم الذين دعوا الانسانية إلى أعظم قمم السمو، ومثلوا هم بسلوكهم العملى هذه الذروة بشكل رائع مدهش عجيب، وهذا بحد ذاته من أدلة صدقهم. إذ الالتزام بالسمو لا تطيقه النفس البشرية عادة ما لم تتهذب هذه النفس بدافع الخضوع لأمر الله بعد الإيمان به، ومعرفة أمره، ويستطيع الإنسان أن يعرف هذا بالتجربة، إذا شاهد أحوال الكافرين، فمثلا قد يحاول كافر أن يقلد مسلما فى صلاته متظاهرا بالإيمان، فاذا ما راقبت مثل هذا وجدته عمليا لا يبقى على حالة واحدة بالتطبيق، كما أن تطبيقه

يكون بسيطا جدا، ولو لم يكن فى وضع يراه الناس فإنه لا يفعل شيئا أصلا، فعندما ترى فى المقابل الرسل بعبادتهم العجيبة الكثيرة لله، مع قيامهم بأمر الله كما كلفهم على ما فيه من مشقة أو جهد، دون تكلف بل بكامل الرضا والسعادة فذلك لاشك دليل صدق لا يدحض.

لما كان الكلام هنا خاصا بالحديث عن محمد رسول الله، وظهور هذا فى العملية على أعلى ما يخطر بعقل بشر، رأينا أن نختار بعضا من الأوامر القرآنية التى وجهها الله لرسوله فى قضايا متعددة لنرى كيف كان قيام رسول الله بها دليلا كاملا على أنه رسول الله، وحرصنا أن تكون الأوامر التى ندرسها مختلفة الجوانب لنرى كيف كان يقيم رسول الله كل أمر أمر به بشكل كامل. بحيث لا يكون تنفيذه لأمر مضيعا لأمر آخر، كما نرى عند بعض الناس، إذ نراهم مقبلين على تنفيذ أمر الله فى العبادة مثلا، مفرطين ببقية أوامر الله وتكاليفه، لكن رسول الله كان يقوم بكل أمر بما لا يسبق اليه، مع إحاطته وعدم تفريطه بأى جانب من جوانب الاسلام الذى كلف به، وأمر أن يدعو إليه، حتى أن الدارس المنصف لحياته فى هذا الجانب لا يتمالك الا أن يشهد أنه رسول الله حقا يقول الجلندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله يدعوه الى الاسلام: (والله لقدْ دلنى على هذا النبى الأمى أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شر الا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبى).

والأوامر التى اخترناها لرؤية تطبيقه العملى لها هى ما يلى:

(١) قوله تعالى: ﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [الزمر:٦٦]

(٢) قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾ [البقرة:٢١٩]

﴿ **وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [طه:١٣١]

(٣) قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الحجر:٨٨]

(٤) قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [التوبة:٧٣]

(٥) قوله تعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة:٤٩] ﴿ **كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ** ﴾ [النساء:١٣٥].

فلنر نماذج من تطبيقه لكل أمر من الأوامر الآنفة الذكر مع ملاحظة أن كل أمر من أوامر الله له، كان يقوم به على مثل هذا. بحيث لا تجد أمرا من أوامر الله إلا وله من تنفيذه أعلى حظ يتصوره بشر لأنه أعلى إنسان مثل ا لعبودية لله على الأرض.

(١) نماذج من تنفيذه للأمر الأول :

﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [الزمر:٦٦]:

أخرج الشيخان عن عائشة قالت : كان النبى يقوم ا لليل (أى مصليا لله) حتى تتفطر قدماه فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : « أفلا أكون عبدا شكورا »!

وذكر المغيرة عن رسول الله مثل هذا.

وأخرج البخارى عن عائشة أن رسول الله كان يصلى إحدى عشرة ركعة (أى فى الليل) يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ثم يضطجع على شقة الأيمن حتى يأتيه المنادى للصلاة.

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : « صليت مع النبى ليلة فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء قيل : ما هممت؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه ».

وأخرج مسلم عن حذيفة قال : « صليت مع النبى ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ثم مضى فقلت : يصلى بها فى ركعة (أى بالبقرة) فمضى فقلت : يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها (وهذه السور تعدل سدس القرآن) يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربى العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال : سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريبا من قيامه ».

وروى مسلم عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة (أى قيام الليل) من وجع أوغيره صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة».

وأخرج مالك والترمذى وأبو داوود عن عائشة قالت: فقدته ﷺ من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو ساجد يقول: «اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وأخرج البخارى عن أنس قال: كان رسول الله يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشأ أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما الا رأيته».

وروى الترمذى عن عائشة قالت: «كان رسول الله يتحرى صوم الاثنين والخميس».

وروى النسائى عن ابن عباس قال: «كان رسول الله لا يفطر أيام البيض فى حضر ولا سفر».

وروى البخارى ومسلم عن ابن عمر قال: «كان رسول الله يعتكف العشر الأواخر من رمضان».

وروى البخارى ومسلم عن عائشة قالت: «كان رسول الله إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله وأيقظ أهله وجد وشد المئزر».

وروى البخارى ومسلم عن عائشة قالت: «لم يكن النبى يصوم من شهر أكثر من شعبان فانه كان يصوم شعبان كله وفى رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلا».

وعن ابن مسعود قال: قال لى رسول الله: اقرأ على القرآن فقلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: إنى أحب أن أسمعه من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت هذه الآية: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً** ﴾ [النساء: ٤١] فقال: حسبك فالتفت فاذا عيناه تذرفان (أى يبكى) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داوود ومالك.

وعن عائشة قالت: «كان رسول الله يذكر الله على كل أحيانه».

وروى أبو داوود والترمذى باسناد حسن صحيح عن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله فى المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم».

وروى مسلم عن الأغر المزنى أن رسول الله قال: «أنه ليغان على قلبى وأنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة».

وقال الحسن بن على: سألت أبى عن دخول رسول الله (أى الى ببته) فقال: «كان دخوله لنفسه مأذونا له فى ذلك وكان إذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك على العامة بالخاصة».

وهذه نماذج متممة لما تقدم عن مناجاته لله وذكره له فى بعض أحواله:

عن جويرية زوج النبى أنا رسول الله خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال: مازلت على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ اذا كبر للصلاة سكت هنيهة قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمى، سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: «اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد» أخرجه الخمسة إلا الترمذى وهذا لفظ الشيخين.

زاد أبو داوود والنسائى فى أوله: «اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول فى سجوده: «اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلانيته».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى» يتأول القرآن، أى يطبق ما جاء فى القرآن من أمر الله.

وفى أخرى لمسلم وأبى داوود والنسائى كان يقول فى ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح».

وعن جابر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ولحمى ودمى وعظامى لله رب العالمين» أخرجه النسائى.

وعن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ اذا رفع ظهره من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شئ بعد» أخرجه مسلم وأبو داوود والترمذى.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى» أخرجه أبو داوود والترمذى واللفظ له.

وعن على رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد قال: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين» ثم يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله الا أنت».

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بعد التشهد: «اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ ليلة حين فرغ من صلاته يقول: «اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، وتجمع بها أمرى،

وتلم بها شعثى وترد بها غائبى، وترفع بها شاهدى، وتزكى بها عملى، وتلهمنى بها رشدى، وترد بها ألفتى، وتعصمنى بها من كل سوء. اللهم أعطنى إيمانا ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة. اللهم انى أنزل بك حاجتى، وإن قصر رأيى وضعف عملى وافتقرت الى رحمتك، فأسألك يا قاضى الأمور، ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيى، ولم تبلغه مسألتى ولم تبلغه نيتى من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك، فانى راغب إليك فيه وأسألك برحمتك يا رب العالمين.

اللهم يا ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود، الركع السجود، الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد. اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، سلما لأوليائك حربا لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادى بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان. اللهم اجعل نورا فى قلبى، ونورا فى قبرى، ونورا من بين يدى، ونورا من خلفى، ونورا عن يمينى، ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى، ونورا فى دمى، ونورا فى مخى، ونورا فى عظامى، اللهم أعظم لى نورا، وأعطنى نورا، واجعل لى نورا سبحان الذى تعطف العز وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى الفضل والنعم. سبحان ذى المجد والكرم سبحان ذى الجلال والإكرام».

وعن ثوبان رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم يستغفر ثلاثا ويقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام».

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحى، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك الحق، والجنة حق،

والنار حق، والنبيون حق، ومحمد - ﷺ - حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقول إذا أمسى: أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله. لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير. رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر. رب أعوذ بك من عذاب فى النار، وعذاب فى القبر، وإذا أصبح قال ذلك: أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله».

عن أنس رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى الى فراشه قال: الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا. وكفانا وآوانا فكم من لا كافى له ولا مؤوى».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ اذا أخذ مضجعه نفث فى يديه وقرأ المعوذتين، وقل هو الله أحد، ويمسح بهما وجهه وجسده، يفعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتكى كان يأمرنى أن أفعل ذلك به».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ من الليل قال: لا إله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علما. ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وعن على رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقول عند مضجعه: اللهم انى أعوذ بوجهك الكريم وبكلماتك التامات من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم اللهم لا يهزم جندك، ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد. سبحانك اللهم وبحمدك».

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال:

بسم الله توكلت على الله. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم. أو نجهل أو يجهل علينا».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسه حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك. ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا وأجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكثر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا».

وعن مالك «أنه بلغه أن رسول الله ﷺ إذا وضع رجله فى الغرز وهو يريد السفر يقول: بسم الله اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل. اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر. اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن سوء المنظر فى المال والأهل».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ اذا قفل من السفر يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات، ثم يقول: لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون، عابدون ساجدون لربنا حامدون. صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

وعن عبد الله الخطمى رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ودع أحدا قال: أستودع الله دينكم وأمانتكم، وخواتيم أعمالكم».

وله فى أخرى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك».

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أقبل الليل عليه فى السفر قال: يا أرض ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب. ومن ساكن البلد ووالد وما ولد».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يقول عند الكرب:

لا اله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم».

وعن أنس رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كربه أمر يقول: يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث وقال: ألظوا بياذا الجلال والإكرام».

عن الخدرى رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ إذا استجد ثوبا قال: اللهم لك الحمد أنت كسوتنى هذا - ويسميه - : أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له».

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ إذا أكل أو شرب قال: الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين».

وعن أنس رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ اذا دخل الخلاء لقضاء الحاجة يقول: اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان النبى ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك».

عن فاطمة بنت الحسين بن على عن جدتها فاطمة الكبرى رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد - ﷺ - وقال: رب اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك، واذا خرج صلى على محمد - ﷺ - وقال: رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك».

عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا باليمن والايمان، والسلامة والاسلام، ربى وربك الله».

وعن قتادة رضى الله عنه قال: «أنه بلغه أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: هلال خير ورشد ثلاث مرات، آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات، ثم يقول: الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا» أخرجه أبو داوود.

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به».

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه: اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير. واجعل الموت راحة لى من كل شر».

وعن أنس رضى الله عنه قال: «كان أكثر دعاء النبى ﷺ: اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

عن أنس رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ يقول: اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

وعن أنس أيضا رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الجذام والبرص، والجنون ومن سئ الأسقام».

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

وعنه رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه، فقلت له فى ذلك، قال: أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى، فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه». فقد رأيتها: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** ﴾

[النصر: ١ – ٣]

هذه نماذج من عبادته عليه الصلاة والسلام لله شكرا. وهذا كله ولم نذكر إقامته للصلوات الخمس ولا لرواتبها، ولم نتعرض لكل ما أثر عنه من عبادة لله جل جلاله، فهل بلغ احد فى عبادة الله وشكره ما بلغه رسول الله، وهل يستطيع أحد أن يتصور أن هذا ممكن الوقوع والحصول بهذا الكمال والجلال، وبهذه الكثرة والسعة وبهذا الانسجام والتوافق مع هذه المعرفة العظيمة لله وكمالاته. لولا أن محمدا رسول الله يقوم بأمره كأعظم ما يقوم به أحد.

(٢) نماذج من تنفيذه لأمر الله فى المثال الثانى

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ ﴾ [البقرة:٢١٩].

﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه:١٣١].

روى البخارى ومسلم عن أنس أن النبى قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

وروى البخارى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع النبى ﷺ فى حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد فقال: يا أبا ذر فقلت: لبيك يا رسول الله فقال: ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهبا تمضى على ثلاثة أيام وعندى منه دينارا إلا شئ أرصده لدين الا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه.

وروى مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه. الدقل: ردئ التمر.

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: توفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى من شئ يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى.

وروى البخارى عن عمر بن الحارث أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة.

وروى ابن جابر عن جابر رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى ﷺ فسأله فأعطاه ثم أتاه آخر فسأله فوعده فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله.. سئلت فأعطيت. ثم سئلت فأعطيت، ثم سئلت فوعدت ثم سئلت فوعدت فكأن رسول الله ﷺ كرهها، فقام عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه فقال: أنفق يا رسول الله ولا تخش من ذى العرش إقلالا، فقال: «بذلك أمرت». كذا فى الكنز ج ٣ ص ٣١١ .

وأخرج البزار بإسناد حسن والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: دخل النبى ﷺ على بلال رضى الله عنه وعنده صبر من تمر فقال: ما هذا يا بلال؟ قال: أعد ذلك لأضيافك قال: ما تخشى أن يكون لك دخان فى نار جهنم أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا. وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ج١ص١٤٩ عن عبد الله نحوه ورواه أبو يعلى والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه بنحوه بإسناد حسن وكما فى الترغيب ج٢ص١٧٤ .

وأخرج أبو يعلى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أهديت للنبى ﷺ ثلاث طوائر فأطعم خادمه طائرا. فلما كان من الغد أتته[1] بها فقال رسول الله ﷺ: ألم أنهك أن ترفعى شيئا لغد، فإن الله يأتى برزق كل غد. قال الهيثمى ج١ص٢٤١ ورجاله ثقات.

وأخرج الطبرانى فى الكبير ــ ورواته ثقات محتج بهم فى الصحيح ــ عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: كانت عند رسول الله ﷺ سبعة دنانير وضعها عند عائشة رضى الله عنها فلما كان عند مرضه قال: يا عائشة ابعثى بالذهب الى على، ثم أغمى عليه وشغل عائشة ما به حتى قال ذلك مرارا، كل ذلك يغمى على رسول الله ﷺ ويشغل عائشة رضى الله عنها ما به. فبعث إلى على فتصدق بها. وأمسى رسول الله ﷺ فى حديد الموت ليلة الاثنين فأرسلت عائشة رضى الله عنها بمصباح لها الى امرأة من نسائها فقالت: أهدى لنا فى مصباحنا من عكتك السمن فإن رسول الله ﷺ أمسى فى حديد الموت.

---

(١) لعل المقصود إحدى زوجاته ﷺ.

ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عائشة بمعناه. كذا فى الترغيب ج٢ص١٧٨ وعن أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت: أمرنى رسول الله ﷺ أن أتصدق بذهب كان عنده فى مرضه. قالت: فأفاق، قال: ما فعلت؟ قلت: شغلنى ما رأيت منك. قال: فهلم بها قال: فجاءت بها إليه سبعة أو تسعة _ أبو حازم يشك _ دنانير. فقال حين جاءت بها: ما ظن محمد لو لقى الله وهذه عنده وما تنفى هذه من محمد ﷺ لو لقى الله وهذه عنده، قال الهيثمى (ج١٠ص٢٤٠): رواه أحمد بأسانيده، ورجال أحدها رجال الصحيح.

أخرج أحمد بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير. قال: فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر فى جنبه وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وقرظ فى ناحية فى الغرفة. وإذا اهاب معلق فابتدرت عيناى فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال: يا نبى الله، وما لى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار وأنت نبى الله وصفوته وهذه خزانتك. قال: يا ابن الخطاب. أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض وفى رواية: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض.

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول: والله يا ابن أختى إن كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منايح وكانوا يرسلون الى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا «متفق عليه».

وعن أنس رضى الله عنه قال: لم يأكل النبى ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزا مرققا حتى مات.

وعن خالد بن عمر العدوى قال: خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ولقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد الا أصبح أميرا على مصر من الأمصار وإنى أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وعند الله صغيرا. رواه مسلم.

وعن جابر رضى الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا. متفق عليه.

وعن أنس رضى الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. رواه مسلم.

وعن عمر رضى الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسما فقلت: يا رسول الله لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم؟ فقال: أنهم خيرونى أن يسألونى بالفحش فأعطيهم أو يبخلونى ولست بباخل.

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه قال: بينما هو يسير مع النبى ﷺ مقفله من حنين فعلقه الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبى ﷺ فقال: «أعطونى ردائى فلو كان لى عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا». رواه البخارى. مقفله: حال رجوعه. السمرة: شجرة، والعضاة: شجر له شوك.

وأخرج أحمد عن جابر رضى الله عنه قال: أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبى ﷺ جالس فلم يؤذن له ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبى بكر وعمر فدخلا والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت فقال عمر: لأكلمن النبى ﷺ لعله يضحك. فقال عمر: يا رسول الله.. لو رأيت ابنة زيد -- امرأة عمر -- سألتنى النفقة آنفا فوجأت عنقها فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: هن حولى يسألننى النفقة. فقام

أبو بكر الى عائشة ليضربها وقام عمر الى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبى ﷺ ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله ﷺ فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال: وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة فقال: إنى أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك، قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ** ﴾ [الأحزاب: ٢٨] - قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوى؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت. فقال ﷺ: إن الله تعالى لم يبعثنى معنفا ولكن بعثنى معلما ميسر إلا تسألنى امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها. وأخرجه مسلم والنسائى، وعند ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قالت عائشة: أنزلت آية التخيير فبدأ بى أول امرأة من نسائه فقال ﷺ: إنى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك، قالت: وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه. قالت ثم قال: إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ** ﴾- الآيتين. قالت عائشة: فقلت: أفى هذا أستأمر أبوى؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة، وأخرجه البخارى ومسلم عن عائشة مثله.

هذه الأمثلة على الزهد والانفاق وتحمل خشونة الحياة والاقبال على الله طلبا لمرضاته. وحرصا على نيل ثوابه فى اليوم الآخر وهى يسير من كثير، تبين كيف قام رسول الله ﷺ بأمر الله حق القيام بحيث لا يسبق ولا يلحق، اذ لو رجعت الى الأمرين اللذين ذكرنا الأمثلة على تطبيقهما. فإنك لا تستطيع أن تجد أبلغ من هذا فى تنفيذ أمر الله وإنه لمجافاة لكل واقع بشرى وتنكب عن كل حقائق النفس البشرية، أن نتصور أن مثل هذا التطبيق والتنفيذ، بهذا الشكل، لمثل هذه الأوامر، يمكن أن يكون، لو لا أن صاحبه رسول لله حقا. صغرت لديه الدنيا بما فيها وهان لديه المال بكل أنواعه لمعرفته بأن الله أعظم كل شئ ويهون فى سبيله كل شئ.

(٣) نماذج من تنفيذه للأمر الثالث:

﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الحجر:٨٨].

وعاتب الله رسوله ﷺ لأنه أتاه مرة مؤمن مسلم وهو يعرض دعوة الاسلام على

زعيم من زعماء المشركين فلم يقبل على المسلم. تقول عائشة: أنزلت ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى** ﴾ [عبس: ١] فى ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدنى وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: أترى بما أقول بأسا؟ فيقول لا ففى هذ « أنزلت » أخرجه مالك والترمذى.

وآيات العتاب هى: ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى** ﴾

[عبس: ١-١٠]

فكيف كان رسول الله ﷺ بعد هذا العتاب وبعدذلك الأمر فى علاقته بالمؤمنين عوامهم وخواصهم؟

أخرج أبو نعيم فى الدلائل عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أشد الناس لطفا، والله! ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبى أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه وما سأله سائل قط الا أصغى إليه أذنه فلم ينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده إلا ناوله إياها فلم ينزع حتى يكون هو الذى ينزعها منه.

وعند يعقوب بن سفيان عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صافح ـ أو صافحه ـ الرجل لا ينزع يده، وإن استقبله بوجه لا يصرفه عنه، حتى يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يرى مقدما ركبتيه بين يدى جليس له. ورواه الترمذى وابن ماجه، كما فى البداية ج٦ص٣٩ .

وعند أبى داوود عنه قال: ما رأيت رجلا قط التقم أذن النبى ﷺ فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه، وما رأيت رسول الله ﷺ آخذا بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده.

تفرد به أبو داوود كذا فى البداية ج٦ص٣٩ .

وأخرج البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا جاء الى النبى ﷺ يستعينه فى شئ قال عكرمة رضى الله عنه: أراه قال: فى دم، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئا ثم قال: أحسنت اليك؟ قال الأعرابى: لا ولا أجملت، فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا اليه، فأشار رسول الله ﷺ اليهم أن كفوا، فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ منزله دعا الأعرابى الى البيت فقال: إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت، فزاده رسول الله ﷺ شيئا وقال: أحسنت اليك؟ فقال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا! قال النبى ﷺ: إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى نفس أصحابى عليك من ذلك شئ فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب عن صدورهم! فقال: نعم، فلما جاء الأعرابى قال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى، كذا يا أعرابى؟ فقال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا! فقال النبى ﷺ: إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بينى وبين ناقتى فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها! فتوجه اليها وأخذ من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وأنى لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار.

وأخرج الطبرانى عن أبى غالب قال: قلت لأبى أمامه رضى الله عنه حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال: كان حديث رسول الله ﷺ القرآن يكثر الذكر ويقصر الخطبة ويطيل الصلاة ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من حاجته. وإسناده حسن، كما قال الهيثمى فى (ج٩ص٢٠) وأخرجه البيهقى والنسائى عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه نحوه كما فى البداية (ج٦ص٤٥)

وأخرج الترمذى فى الشمائل (ص٢٥) عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك فكان يقبل بوجهه وحديثه على حتى ظننت أنى خير القوم فقلت: يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر رضى الله عنه فقال: أبو بكر فقلت: يا رسول الله! أنا خير أم عمر رضى الله

عنه. فقال: عمر، فقلت: أنا خير أم عثمان رضى الله عنه، فقال: عثمان فلما سألت رسول الله ﷺ فصدقنى فلوددت أنى لم أكن سألته. وأخرجه الطبرانى عنه نحوه وإسناده حسن كما قال الهيثمى (ج٩ص١٥) وقال فى الصحيح: بعضه بغير سياقه.

وعند البزار والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يكن أحد يأخذ بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله ولم يكن يرى ركبتيه – أو ركبته – خارجا عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يصافحه الا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه، وإسناد الطبرانى حسن.

وعند أحمد عن أنس رضى الله عنه قال: إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجئ فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع من يدها حتى تذهب به حيث شاءت. (رواه ابن ماجه). وعند أحمد عنه قال: إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حاجتها. ورواه البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه معلقا كما فى البداية ج٦ص ٣٩، وروى مسلم فى صحيحه ج٢ص٢٥٦ عن أنس أن امرأة كان فى عقلها شئ فقالت: يا رسول الله إن لى إليك حاجة فقال: يا أم فلان انظرى أى السكك شئت حتى أقضى لك حاجتك! فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها. وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة ص٥٧ عن أنس مثله.

وأخرج مسلم (ج٢ص٢٥٣) عن أنس رضى الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اخذ أبو طلحة رضى الله عنه بيدى فانطلق بى الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنسا غلام كيس فليخدمك قال: فخدمته فى السفر والحضر، والله ما قال لى لشئ صنعته؟ لم صنعت هذا هكذا ولا لشئ لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟ وعنده أيضا عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا فأرسلنى يوما لحاجة فقلت: والله لا أذهب وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبى الله ﷺ فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون فى السوق فاذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاى من ورائى، قال: فنظرت اليه وهو يضحك فقال: يا أنس اذهب حيث أمرتك، قال: قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشئ صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ ولشئ تركته: هلا فعلت كذا وكذا وعنده أيضا عنه

قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله، ما قال لى أفا قط، ولا قال لى لشئ: لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا؟

وعند أبى نعيم فى الدلائل صفحة ٥٧ عن أنس رضى الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ سنين فما سبنى سبة قط ولا ضربنى ضربة ولا انتهرنى ولا عبس فى وجهى ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه، فان عاتبنى عليه أحد من أهله قال: دعوه فلو قدر شئ لكان.

وأخرج البزار عن جابر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ اذا أتاه الوحى أو وعظ قلت: نذير قوم أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه ذلك رأيت أطلق الناس وجها وأكثرهم ضحكا وأحسنهم بشرا. قال الهيثمى جـ٩ص١٧: إسناده حسن.

وأخرج البيهقى وابن النجار عن عائشة رضى الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبى ﷺ فقال لها: من أنت؟ قالت: جثامة المزنية قال: بل أنت حنانة المزنية، كيف أنتم، كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت بخير بأبى أنت وأمى يا رسول الله فلما خرجت قلت: يا رسول الله؟ تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: يا عائشة هذه كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الايمان.

وأخرج البخارى فى الأدب ص١٨٨ عن أبى الطفيل رضى الله عنه قال: رأيت النبى ﷺ يقسم لحما بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل عضو البعير فأتته امرأة فبسط لها رداءه. قلت من هذه؟ قال: أمه التى أرضعته.

وروى الطبرانى عن الحسن بن على رضى الله عنهما وقد سأل أباه عن بعض صفات رسول الله ﷺ فكان من سؤاله وجواب على ما يلى:

قال الحسن: وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: «كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما فى الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه (يجعله ضعيفا واهيا بالمنع والزجر عنه) معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عتاد، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه،

الذين يلونه من ا لناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة».

قال فسألته عن مجلسه كيف كان؟ فقال: «كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك، يعطى كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو لميسور من القول. قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا له أبناء عنده فى الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن (تعاب) فيه الحرم. ولا تثنى فلتاته (أى لا تشاع زلاته وهفواته والمراد لا فلتات فى مجلسه) متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، يؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب».

قال فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال: «كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ (أى سئ الخلق)، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مزاح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يوئس منه راجيه، ولا يخيب فيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا تكلم سكتوا وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته حتى أن كان أصحابه ليستحلبونه فى المنطق (وفى الكنز ليستجلبونهم)، ويقول: إذا رأيتم صاحب حاجة فارفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز، فيقطعه بانتهاء، أو قيام».

هذه أمثلة من مواقفه مع المؤمنين، وتواضعه وخفض جناحه لهم، ارجع بعد دراستها الى الآية التى أمرته بذلك فهل تراه إلا قائما بها حقا وهل ترى إنسانا يبلغ عشر ما بلغه محمد ﷺ من المجد ويبقى يعامل المستضعفين والكبار والصغار والرؤساء والأتباع هذه المعاملة على سواء؟ وهل هذا وضع طبيعى للنفس البشرية لولا أن الله

هذبها وكانت مؤمنة بالله فعلا متصلة به حقيقة طائعة له طاعة فناء، اللهم ما كان هذا ليكون لولا أن محمداً عبدك ورسولك.

(٤) نماذج من تنفيذه للأمر الرابع:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [التوبة:٧٣]

إن خلق الرحمة عند رسول الله لا يدانيه فيه أحد من خلق الله أخرج الشيخان عن أنس أن نبى الله قال: إنى لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من وجـــد أمه من بكائه، ووسعت رحمته الناس حتى قال الله له: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَـــكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَـذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً** ﴾ [الكهف:٦] وقد ظهرت هذه السجية على طبيعتها يوم فتح مكة إذ عفا عن أهلها بعد أن فعلوا فيه ما فعلوا كما ظهرت على سجيتها بعد انتهاء غزوة بدر وأسر الأسرى ولم يكن نزل عليه من أمر الله فى القضية شئ وإنما هو الاجتهاد الذى أذن فيه لرسول الله فى هذه القضايا وكان أمام الرسول اقتراحان فى شأن الأسرى اقتراح أبى بكر واقتراح عمر وكان اقتراح أبى بكر أخذ الفداء وإطلاق السراح. وكان اقتراح عمر القتل حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوب المسلمين رحمة بالكافرين، وأخذ رسول الله برأى أبى بكر لأنه أقرب لطبعه، وهو الذى لاقى من قومه ما لاقى ثم أن الله عاتبه فى هذه القضية على اللين وليس من إثم ولكن الله يريد أن يأخذ رسوله بالحزم فقـــال لـه ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ** ﴾ [الأنفال:٦٧] ثم نزلت أوامر الله تطالب رسول الله بالجهاد والشدة والغلظة على الكافرين فأصبحت ترى رسول الله بعد هذه الرحمة الكبيرة والصبر الطويل والتحمل الكثير والمسالمة الدائمة. المقاتل الشديد والمنفذ الذى طاعة الله فوق كل عواطفه، بل عواطفه هى تنفيذ أمر الله، واستعراض بسيط لحياته الحربية عليه السلام يرينا أن هذا النوع من القتال الذى خاضه عليه السلام ما كان ليكون من صنع بشر، لولا أن هذا الانسان ينفذ أمر الله، معتمدا عليه، فانه ما من مقدمة فى حياة الرسول تشير الى مثل هذه النتائج، لو لا أن المسألة ربانية الطريق بدءا وختاما، أسلوبا وتنفيذا. رب يأمر وعبد رسول ينفذ:

يؤمر ألا يخشى شيئا فلا يخاف إلا الله ويؤمر بأن يتوكل على الله ويعتمد عليه

وحده فيدخل أى معركة بما يتوفر له من قوة دون خوف من أى حشد يقابله، ويؤمر بألا يكون فى قلبه رحمة بالكافرين فيضرب حتى يستأصل، ويؤمر بمتابعة القتال فيقاتل ولما يسترح، ويؤمر بالعمل المتواصل حتى يخضع أعداء الله فلا يكاد ينتهى من تهيئة غزوة الا الى غيرها، ومن إخضاع منطقة إلا الى منطقة أخرى. وهكذا حتى يضع أتباعه على الطريق لإخضاع العالم بعده لسلطان الله.

كان عدد أصحابه يوم بدر ثلاث مائة وخمسة عشر رجلا، وعدد المشركين حوالى ثلاثة أضعاف تفوقهم بالعدة ويدخل الرسول ﷺ المعركة وينتصر بها ولا يعتمد إلا على الله.

روى مسلم وأبو داوود والترمذى عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة. ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه. فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ جئت لأتبعك وأصيب معك فقال ﷺ: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا. قال فارجع فلن أستعين بمشرك. قالت: ثم مضى حتى إذا كان بالشجرة أدركه الرجل فقال: كما قال أول مرة. فقال له ﷺ كما قال أول مرة قال فارجع فلن أستعين بمشرك. ثم رجع فأدركه بالبيداء. فقال له كما قال أول مرة. وقال: هل تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم. قال: فانطلق. فانطلق معه.

وروى مسلم عن أبى الطفيل رضى الله عنه قال: قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: ما منعنى أن أشهد بدراً إلا أنى خرجت أنا وأبى الحسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا إنكم تريدون محمدا فقلنا: ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه أن لا نقاتل معه فلما أتينا المدينة ذكر ذلك له ﷺ فقال: انصرفا نفى لهم ونستعين بالله تعالى عليهم.

وأخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس لأبى طلحة رضى الله عنه عرى فى عنقه السيف وهو يقول لم تراعوا قال: وجدناه بحرا أو إنه لبحر وكان فرسا يبطئ. وأخرج البخارى عن أبى إسحاق: سمع

البراء بن عازب رضى الله عنه وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله لم يفرر.

والمعروف أن رسول الله ثبت يوم حنين بعشرة من أصحابه أدار بهم المعركة التى فر فيها اثنا عشر ألفا ثم كان النصر بعد الهزيمة وفى غزوة أحد كان المشركون أضعاف المسلمين ودخل الرسول ﷺ المعركة، وأفشل المعركة بعض المتسرعين الذين لم يلتزموا خطة رسول الله ﷺ وأصيب المسلمون يومها إصابات كثيرة وانفصل الجيشان ورجع كل الى بلده ولكن رسول الله ﷺ ما كاد يصل الى المدينة حتى أمر من دخل المعركة بالجهاز السريع فخرجوا بجراحهم وآلامهم وساروا وراء قريش فبلغ قريشا الخبر ففرت وتحولت الهزيمة الى انتصار وأكثر من هذا فقد قطع على قريش خط الرجعة إذ فكروا وهم عائدون أن يرجعوا الى المدينة ليدخلوها فاتحين مستأصلين لجذور الاسلام. مع ملاحظة أن رسول الله بقى يقاتل يوم أحد حتى كف المشركون أنفسهم عن القتال ولم يفر رسول الله ﷺ أبدا.

وفى غزوة الأحزاب تجمعت الجزيرة العربية كلها لحرب رسول الله ﷺ ونقض يهود بنى قريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ وأصبح المسلمون فى وضع لا يطيقه أحد من البشر يتهددهم الخطر من جوانب لا تعد وثبت رسول الله ﷺ حتى انسحبت الأحزاب ولم يتمهل رسول الله ﷺ بعد انسحابهم حتى سار الى قريظة لتأديب هؤلاء الناكثين للعهد فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ حليفهم بالجاهلية فأخذ سعد العهد عليهم وعلى رسول الله ﷺ بأن يلتزموا بحكمه فأعطوه فحكم سعد أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم فقتل رسول الله ﷺ منهم فى يوم واحد أربعمائة رجل صبرا.

وهاجم الدولة الرومانية وهى يومها من هى، وقوته لم تبلغ الا قليلا مما فتح لأصحابه بعد ذلك أن يدخلوا معاركهم مع الدولة الرومانية والدولة الفارسية بآن واحد على قلة فى العدة والعدد وانتصروا بتلك الشعلة التى أشعلها بهم الله على يد رسوله ﷺ، ويكفى أن تعلم أن رسول الله ﷺ غزا بنفسه كما يروى مسلم تسع عشرة غزوة هذا عدا عن السرايا والبعوث الحربية التى كان يرسلها. هذا مع أن بقاءه فى المدينة كانت مدته كلها عشر سنوات.

والحديث عن غزواته طويل جدا نجده مفصلا فى كتب السيرة.

ويكفى أن نذكر أن من آثارها توحيد الجزيرة العربية كلها، بيمنها وحجازها ونجدها وسواحلها، حتى لم يبق فيها شبر لم يخضع لسلطان الله، وفتح لأتباعه طريق العمل العالمى. من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا. ونحن هنا لا نريد التفصيل وإنما نريد فقط إبراز ما به يظهر التطبيق الكامل لما أمر به رسول الله وهو بالتالى ما دعا إليه فكان فى كل شئ لا تخالف أعماله دعوته.

(٥) نماذج من تطبيقه للأوامر فى المثال الخامس:

﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ [النساء: ١٣٥] **﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾**

[المائدة: ٤٩]

أخرج البخارى عن عروة أن امرأة سرقت فى عهد رسول الله فى غزوة الفتح ففزع قومها الى أسامة بن زيد يستشفعونه قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله وقال: أتكلمنى فى حد من حدود الله تعالى؟ فقال أسامة: استغفر لى يا رسول الله فلما كان العشى قام رسول الله خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الناس أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر رسول الله بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت قالت عائشة: كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله.

وأخرج أبو داوود عن العرباض بن سارية السلمى قال:

نزلنا مع رسول الله قلعة خيبر ومعه من معه من المسلمين وكان صاحب خيبر رجلا ماردا متكبرا فأقبل الى النبى فقال: يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا تضربوا نسائنا؟ فغضب رسول الله وقال: يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد أن الجنة لا تحل الا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة فاجتمعوا ثم صلى بهم ثم قام فقال: أيحسب أحدكم متكئا على أريكته قد يظن أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما فى القرآن الا أنى والله لقد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر وان

الله تعالى لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذى عليهم.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى أنه كان ليهودى عليه أربعة دراهم فاستعدى عليه فقال: يا محمد.. إن لى على هذا أربعة دراهم وقد غلبنى عليها قال: أعطه حقه قال: والذى بعثك بالحق ما أقدر عليها قال: أعطه حقه قال: والذى نفسى بيده ما أقدر عليها قد أخبر أنك تبعثنا الى خيبر فأرجو أن تغنمنا شيئا فأرجح فأقضيه، قال: أعطه حقه، وكان رسول الله إذا قال ثلاثا لم يراجع فخرج ابن أبى حدرد الى السوق وعلى رأسه عصابة وهو متزر ببردة فنزع عن رأسه فاتزر بها ونزع البردة فقال اشتر منى هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فمرت عجوز فقالت مالك يا صاحب رسول الله فأخبرها فقالت: ها دونك هذا البرد _ لبرد عليها طرحته عليه. وأخرجه أحمد أيضا.

وأخرج ابن ماجة عن أبى سعيد قال: جاء أعرابى الى النبى يتقاضاه دينا كان عليه فاشتد عليه حتى قال: أحرج عليك إلا قضيتنى، فانتهره أصحابه فقالوا: ويحك تدرى من تكلم؟ فقال: إنى أطلب حقى فقال النبى: هلا مع صاحب الحق كنتم؟ ثم أرسل الى خولة بنت قيس فقال لها: إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك فقالت: نعم بأبى وأمى يا رسول الله فاقترضه فقضى الأعرابى وأطعمه فقال: أوفيت أوفى الله لك فقال: أولئك خيار الناس إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متمتع.

وأخرج أبو داوود عن أسيد بن حضير: أن رجلا من الأنصار كان فيه مزاح فبينما هو يحدث القوم ويضحكهم إذ طعنه النبى فى خاصرته بعود كان فى يده فقال: اصبرنى يا رسول الله (أى مكنى من نفسك لأقتص منك) قال: اصطبر فقال: ان عليك قميصا وليس على قميص فرفع النبى قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه (الكشح ما فوق شد الازار من جانب البطن) وقال إنما أردت هذا يا رسول الله.

أخرج الطبرانى عن عبد الله بن سلام بإسناد رجاله ثقات قال:

لما أراد الله هدى زيد بن سعنة قال زيد بن سعنة ما من علامات النبوة شئ إلا

وقد عرفتها فى وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله يوما من الحجرات ومعه على ابن أبى طالب فأتاه رجل على راحلته كالبدوى فقال: يا رسول الله.. لى نفر فى قرية بنى فلان قد أسلموا ودخلوا فى الاسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا وقد أصابتهم سنة وشدة وقحط من الغيث فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الاسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا فإن رأيت أن ترسل اليهم بشئ تغيثهم به فعلت فنظر الى رجل بجانبه أراه عليا فقال: يا رسول الله ما بقى منه شئ قال زيد بن سعنة :فدنوت اليه فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعنى تمرا معلوما فى حائط بنى فلان الى أجل معلوم الى أجل كذا وكذا قال: لا تسمى حائط بنى فلان قلت: نعم فبايعنى فأطلقت همیانى فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب فى تمر معلوم الى أجل كذا وكذا فأعطانى الرجل (يظهر أنها فأعطاها الرجل) وقال: أعدل عليهم وأغثهم قال زيد بن سعنة فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث خرج رسول الله ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فى نفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة ودنا الى الجدار ليجلس إليه أتيته فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ قلت له: يا محمد ألا تقضينى حقى فوالله ما علمتم بنى عبد المطلب إلا مطلا ولقد كان بمخالطتكم علم. ونظرت الى عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير ثم رمانى ببصره فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذى نفسى بيده لو لا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك ورسول الله ﷺ ينظر الى فى سكون وتؤدة. فقال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته. قال زيد: فذهب بى عمر فأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعا من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر! قال أمرنى رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك وقال: وتعرفنى يا عمر؟ قال: لا. قلت: أنا زيد ابن سعنة. قال: الحبر. قلت: الحبر. قال: فما دعاك الى أن فعلت برسول الله ما فعلت؟ وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر.. لم يكن من علامات النبوة شيئا الا وقد عرفت فى وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه

الا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وقد اختبرتهما، أشهدك يا عمر أنى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وأشهدك أن شطر مالى - فإنى أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد ﷺ قال عمر: أو على بعضهم فانك لا تسعهم، قلت: أو على بعضهم. فرجع عمر وزيد الى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وآمن به وصدقه وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفى فى غزوة تبوك مقبلا غير مدبر ــ رحم الله زيدا.

من هذه الآثار يتبين كيف قام رسول الله بالقسط، وأقامه على نفسه وأتباعه وأصحابه بلا محاباة ولا مداراة ولا مداهنة، فكان فى ذلك فى القمة التى لا يرقى إليها راق فى تنفيذ أمر الله وتطبيقه.

هذه نماذج رأينا فيها خمسة أوامر لله ورأينا كيف أن رسول الله قام بها بالشكل الذى لا يبقى معه مزيد لمستزيد، وهذا الذى رأيناه هنا هو الذى نراه فى كل أمر أمر الله به عباده حتى أن عائشة لما وصفت خلق رسول الله قالت: «كان خلقه القرآن» وهذا واقع لا يعرفه حق المعرفة الا من درس القرآن ودرس معه سيرة رسول الله تفصيلا، فإنه يرى بوضوح أنه ما من أمر وجهه الله لخلقه، إلا وكان رسول الله أعظم الخلق تنفيذا له وتطبيقا، بلا تفريط بأمر من أوامر الله وأى أمر من أوامر الله درست تنفيذ رسول الله له دلك هذا التنفيذ على أن محمدا رسول الله، وقد رأيت فى الأمثلة الماضية هذه النماذج العالية من الالتزام الرائع الذى يجعلك كل موقف من مواقفه تستبعد وقوعه من غير رسول، أو تابع رسول يقتدى به، وهذه الصفة التى مرت معنا هى التى يسميها علماء المسلمين الأمانة، إذ الأمانة عندهم تعنى القيام بما كلف الله به عباده أخذا من قوله تعالى:

﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ [الأحزاب: ٧٢] فالأمانة هى التكليف وحملها هو إقامة ما كلف الله به عباده والرسل هم قدوة البشر فى القيام بأمر الله فلابد أن يكونوا أكثر الخلق أمانة أى التزاما صادقا بما يدعون الخلق اليه نيابة

عن الله، ووجود هذا الالتزام مع بقية شروط الرسالة، دليل من جملة الأدلة التى تثبت أن هذا الملتزم بما يدعو اليه الخلق من فضائل هو رسول لله رب العالمين.

والآن وقد وضح أن لرسول الله الحظ الأعلى من الصفة الثانية التى ينبغى أن يتصف بها كل من كان رسولا لله حقا، فلننتقل الى الصفة الأساسية الثالثة لكل رسول وهى تبليغ دعوة الله مهما كانت الظروف، لنرى كذلك أن لرسول الله الحظ الأعلى منها، ونرى فى كل موقف من مواقفه فيها ما يثبت أنه رسول الله حقا.

٣- تبليغه عليه السلام دعوة الله وقيامه بذلك كاملا:

لقد سلك رسول الله كل طريق سليم لتبليغ دعوة الله على الوجه الأكمل، وسلك الناس فى المقابل كل طريق يخطر بالبال ليثنوه عن القيام بأمر الله فلم يفعل:

اتصل بالأفراد اتصالا شخصيا، وعرض نفسه على قبائل العرب ورحل من أجل تبليغ الدعوة وتتبع مواطن اجتماع الناس ليبلغهم، وأرسل الرسل نيابة عنه لتبليغ الدعوة واستقدم الوفود ليأخذوا عنه ويرجعوا مبلغين. وراسل الأمراء والملوك داعيا لهم الى الله وكلف أصحابه أن يتعلموا ويلموا ويعلموا وأمر جنده ألا يحاربوا قبل أن يدعوا الى الإسلام، حتى لا يبقى أحد من البشر الا وقد بلغ، وقامت عليه الحجة، وفى المقابل ما ترك الآخرون طريقا إلا سلكوه لإنهاء الدعوة والداعية.

سلكوا طريق الايذاء له ولأتباعه ليثنوه عن التبليغ فما فعل. وسلكوا طريق الإغراء ليثنوه عن التبليغ فما فعل. وسلكوا طريق الضغط العائلى ليثنوه عن التبليغ فما فعل. وسلكوا طريق الاستهزاء والإعراض والسخرية والاتهامات ليثنوه عن التبليغ فما فعل. وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن آزره ليثنوه عن التبليغ فما فعل. وقرروا قتله وملاحقته ليثنوه عن التبليغ فما فعل. وطال الزمن والمستجيبون قليلون، والجميع يحاولون إيئاسه واستمر، ثم حاربوه ليستأصلوا دعوته ويستأصلوه وصبر واستمر رغم هذا كله، ثم انتصر وانتصر دينه ولا زال ينتصر ويتقدم رغم الأوضاع السياسية السيئة للمسلمين، وكل ذلك ببركات الداعية المبلغ الأول.

وقبل أن نستعرض نماذج عن هذا كله. نحب أن نؤكد التذكير بشيء حتى لا يلهينا العرض عن الغاية.

كنه هذا الشيء هو : أن إثباتنا هذه الصفات لرسول الله وبرهاننا على ذلك، كل هذا من أجل الوصول الى برد اليقين بالإيمان به. واتباعه عن ثقة بأنه لا حق إلا ما أخبرنا أنه حق، فمن عرفته بالصدق طوال حياته وتأكدت من تحريه له تطمئن إذا أخبرك عن شئ. والرسول كذلك، وقيام الرسول بتكاليف دعوته على ما فيها من مخالفة لهوى النفس ومن جهد ونصب دون انتظار مكافأة ما فى الحياة الدنيا طاعة لله، دليل آخر على رسالته إذ غير هذا الطريق لطالب غير الله أسهل.

وأما عملية التبليغ فليست هى عند الرسل كبقية عمليات التبليغ الأخرى التى يقوم بها بقية البشر، فى الدعوة لفكرة ما، ومن ثم كانت عملية التبليغ عند الرسل دليلا على صدقهم فى كونهم مرسلين من عند الله.

ان غير الرسل يدعون الناس الى شئ تألفه نفوسهم وتهواه. أى أنهم يأتون الناس من قبل ما يشتهون فلا يعانون شيئا ولا يحتاجون الى تضحية، وأحيانا يضحون ولكن ينتظرون كسبا ماديا أكثر من تضحيتهم. وتراهم دائما يلاحظون السلامة الا اذا أتاهم ما لم يكن بالحسبان. وترى الحياة عزيزة جدا عليهم وما أسهل ما ينسون دعوتهم اذا يئسوا من الكسب أو النصر. ونحن لا نعنى بالطبع هنا أتباع الرسل إذ هؤلاء يعملون بروح الاقتداء بالرسل فعندهم من حرارة إخلاصهم أن حماية النفس مقدمة عند أصحاب الدعوات الباطلة على التبليغ عند الرسل لدعوة الحق مقدم على كل شئ.

إن الرسل يبلغون الناس رسالة الله التى فيها ضبط نفوس البشر، حتى تستقيم على السنن الصحيح للحياة، وهم بهذا يدخلون فى صراع مع أهواء البشر، ولكل انسان هوى، فهم يدخلون فى صراع مع الناس جميعا، والصعوبة التى يعانونها من أعدائهم يعانون قريبا منها فى تربية أتباعهم والارتفاع بهم إذ البشر هم البشر على كل حال، وتجاوز الرسول لهذه العقبات كلها. وثباته على دعوة الحق بلا مداراة ولا مواربة بل مطالبة للنفس البشرية بواجباتها كاملة، وصبره على ذلك، وتحمله كل شئ فى هذا السبيل مرضاة لله. كل هذا دليل على حرارة الصدق والإخلاص للدعوة والله المكلف بها. وسنرى فى كل نموذج نقدمه عن عملية التبليغ عند رسول الله وما رافقه شاهد صدق على هذا الذى قدمناه.

وسنقدم نوعين من النماذج:

١- نماذج عن مواقف الكافرين منه ليثنوه عن الاستمرار بالتبليغ.

٢- نماذج عن الطرق التى سلكها للقيام بعملية التبليغ.

(١) نماذج النوع الأول:

(أ) إيذاؤه وصبره على ذلك:

١- أخرج الطبرانى عن الحارث بن الحارث قال قلت لأبى: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئ لهم. قال: فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الى توحيد الله عز وجل والايمان وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه، أقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قدحا ومنديلا فتناوله منها وشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال: يا بنية خمرى عليك نحرك ولا تخافين على أبيك. قلنا: من هذه ؟ قالوا: هذه زينب بنته. رضى الله عنها.

وعنده أيضا عن منبت الأزدى قال: رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية وهو يقول: يا أيها الناس قولوا: لا اله إلا الله تفلحوا. فمنهم من تفل فى وجهه ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من سبه حتى انتصف النهار. فأقبلت جارية بعس من ماء فغسل وجهه ويديه وقال: يا بنية لا تخشى على أبيك غيلة ولا ذلة. فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ وهى جارية وضيئة.

٢- وأخرج البيهقى عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال: لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابا فرجع الى بيته، فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكى فجعل يقول: أى بنية.. لا تبكى فان الله مانع أباك.

٣- وعن ابن أبى شيبة عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبى ﷺ الا يوما ائتمروا به وهم جلوس فى ظل الكعبة ورسول الله ﷺ يصلى عند المقام. فقام اليه عقبة بن أبى معيط فجعل رداءه فى عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ساقطا وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول فأقبل أبو بكر رضى الله عنه

يشتد حتى أخذ بضبعى رسول الله ﷺ من ورائه ويقول: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** ﴾ [غافر:٢٨].

ثم انصرفوا عن النبى ﷺ، فقام رسول الله ﷺ فصلى. فلما قضى صلاته مر بهم – وهم جلوس فى ظل الكعبة – فقال: يا معشر قريش.. أما والذى نفس محمد بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح وأشار بيده الى حلقه. فقال أبو جهل: ما كنت جهولا. فقال له رسول الله ﷺ: أنت منهم.

٤– وأخرج أحمد عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال:

قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته.

قال: حضرتهم – وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر – فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا وعاب ديننا، وفرق جماعتنا وسب آلهتنا. لقد صبرنا منه على أمر عظيم – أو كما قالوا – قال فبينما هم فى ذلك اذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشى حتى استقبل الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت. فلما مر بهم غمزوه ببعض ما يقول.

(غمزوه: أى أشاروا إليه) قال: فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى. فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى. فلما مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال:

أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفس محمد بيده.. لقد جئتكم بالذبح. فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم فيه وضاءة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول:

انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدا، فوالله ما كنت جهولا.

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر ــ وأنا معهم ــ فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادلكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل

واحد. فأطافوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم. قال فيقول رسول الله ﷺ: نعم. أنا الذى أقول ذلك. قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر رضى الله عنه دونه يقول وهو يبكى «أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله»؟ ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط.

٥- وأخرج البزار والطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ فى المسجد وأبو جهل ابن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف ورجلان آخران كانوا سبعة وهم فى الحجر ورسول الله ﷺ يصلى فلما سجد أطال السجود.

فقال أبو جهل: أيكم يأتى جزور بنى فلان فيأتينا بفرثها فنكفئه على محمد - ﷺ - فانطلق أشقاهم عقبة بن أبى معيط فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله ﷺ ساجد. قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندى منعة تمنعنى فأنا ذاهب، إذ سمعت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأقبلت حتى ألقت عن عاتقه ثم استقبلت قريشا تسبهم فلم يرجعوا اليها شيئا، ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفعه عند تمام السجود. فلما قضى ﷺ صلاته قال:

اللهم عليك بقريش - ثلاثا - عليك بعتبة وعقبة وأبى جهل وشيبة. ثم خرج من المسجد فلقيه أبو البخترى بسوط يتخصر به، فلما رأى النبى ﷺ أنكر وجهه فقال: مالك؟

فقال النبى ﷺ: خل عنى؟

قال: علم الله لا أخلى عنك أو تخبرنى ما شأنك؟ فلقد أصابك شئ. فلما علم النبى ﷺ أنه غير مخل عنه أخبره فقال: إن أبا جهل أمر فطرح على فرث، فقال أبو البخترى: هلم الى المسجد فأتى النبى ﷺ وأبو البخترى فدخلا المسجد ثم أقبل أبو البخترى الى أبى جهل فقال: يا أبا الحكم أنت الذى أمرت بمحمد - ﷺ - فطرح عليه الفرث؟ قال: نعم.

قال: فرفع السوط فضرب به رأسه.

قال: فثار الرجال بعضها على بعض.

قال: وصاح أبو جهل: ويحكم هى له إنما أراد محمد ـ ﷺ ـ أن يلقى العداوة بيننا وينجو هو وأصحابه.

٦- وأخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة ص١٠٣: عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال: ومات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة فعمد الى ثقيف يرجو أن يؤووه وينصروه فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم اخوة: عبد يا ليل بن عمرو، وخبيب بن عمرو، ومعوذ بن عمرو. فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط؟

وقال الآخر: والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدا لئن كنت رسولا لأنت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك.

وقال الآخر: أعجز الله أن يرسل غيرك؟

وأفشوا ذلك فى ثقيف الذى قال لهم، واجتمعوا يستهزءون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفين على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة وهم فى ذلك يستهزءون ويسخرون فلما خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد الى حائط من كرومهم فأتى ظل حبلة من الكرم فجلس فى أصلها مكروبا موجعا تسيل قدماه الدماء فاذا فى الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذى به فأرسلا إليه غلامهما عداسا بعنب وهو نصرانى من أهل نينوى.

فلما أتاه وضع العنب بين يديه فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله» فعجب عداس، فقال له رسول الله ﷺ: من أى أرض أنت يا عداس؟ قال: أنا من أهل نينوى.

فقال النبى ﷺ: من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متى؟

فقال عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟

فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى.

قال: يا رسول الله أخبرنى خبر يونس بن متى، فلما أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أوحى اليه من شأنه خر ساجدا لرسول الله ﷺ ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء.

فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا. فلما أتاهما قالا له: ما شأنك؟ سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منا.

قال: هذا رجل صالح حدثنى عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يدعى يونس بن متى، فأخبرنى أنه رسول الله، فضحكا وقالا: لا يفتنك عن نصرانيتك، انه رجل يخدع، ثم رجع رسول الله ﷺ الى مكة.

وذكر فى البداية (جـ٣ص١٣٦) عن موسى بن عقبة: وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه. فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء. وفيما ذكر ابن اسحاق: فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم ـ فيما ذكر لى ـ: ان فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى. وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه. فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه. ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف.

من هذه القصص.. قصص الإيذاء الرهيب نعرف ما لاقى وهو الشريف الهاشمى ذو النفس الحساسة، ابن الأشراف ومع ذلك تحمل واستمر وليس بيده ألا يستمر، وكما أوذى هو أوذى أتباعه كذلك وقتل بعضهم.. ومع ذلك صبروا وأمرهم بالصبر وهذا شئ يجرح الضمير أن يرى الإنسان الناس يعذبون بسبب دعوته لولا أن ذلك هو الحق الذى لا ريب فيه وأن الإنسان ليس مخيرا فى سلوكه بل هو الذى لابد منه للقيام بحق الله وأنها لرسالة الله.

(ب) محاولة إغرائه ورفضه لذلك:

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدا، قال يوما وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد. قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي.. إنك منا حيث قد علمت، من السطة في العشيرة (السطة: الشرف) والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، قال يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر ما لا جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه، لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال:

أقد فرغت يا أبا الوليد؟

قال: نعم.

قال: فاسمع مني..

قال: أفعل..

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**﴾ [فصلت: ١-٥].

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها،

وألقى يديه خلف ظهره، معتمدا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة الى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائى أنى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش.. أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيى فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

وقال ابن إسحاق: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث (ابن كلدة) أخو بنى عبد الدار، وأبو البخترى بن هشام، والأسود ابن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبى أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف، أو من اجتمع منهم، قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه، حتى تعذروا فيه، فبعثوا اليه:

إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتهم.

فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدأ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وأنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك.

- أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا، جمعنا

لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك – وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا – فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيه.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بى ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل على كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بينى وبينكم، أو كما قال ﷺ. قالوا: يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا، ولا أقل ماء، ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل؟ فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولا كما تقول.

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى، حتى يحكم الله بينى وبينكم.

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك. سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بهذا عما تراك تبتغى، فانك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا، وما بعثت اليكم بهذا

ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا، أو كما قال: فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا، كما زعمت، إن شاء ربك فعل. فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

قال: فقال رسول الله ﷺ: ذلك الى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل، قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا، إذا لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة، يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك، أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهى بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم – وهو ابن عمته – فهو لعائلة بنت عبد المطلب فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك، فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلتك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تجعل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، أو كما قال له: فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم إياه.

قارن بين الصورتين: اضطهاد بدون حدود، وإغراء الى هذا المستوى، ولا خيار. خذ ما تريد واترك ما أنت عليه او تضطهد هذا الاضطهاد المر. ومحمد ﷺ فى الحالتين هو هو لا الاضطهاد يؤثر فى صده عن عملية التبليغ ولا الاغراء يثنيه. وفى

موقفه فى كلا الحالتين شهادة على أنه رسول الله حقا وأنه صاحب دعوة هداية أولا وآخرا.

* * *

(جـ) محاولتهم أن يضغطوا عليه عائليا:

أخرج الطبرانى فى الأوسط والكبير عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال: جاءت قريش الى أبى طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك يأتينا فى أفنيتنا وفى نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل، فقال لى: يا عقيل، التمس لى ابن عمك، فأخرجته من كبس (أى بيت صغير من أكباس أبى طالب). فأقبل يمشى معى يطلب الفيء يمشى فيه فلا يقدر عليه حتى انتهى الى أبى طالب. فقال له أبو طالب: يا ابن أخى، والله! ماعلمت إن كنت لى لمطاعا وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم فى كعبتهم وفى ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم. فحلق ببصره الى السماء فقال: والله! ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار. فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخى قط. ارجعوا راشدين.

قال الهيثمى (جـ٦ص١٤): رواه الطبرانى وأبو يعلى باختصار يسير من أوله: ورجال أبى يعلى رجال الصحيح، انتهى. وأخرجه البخارى فى التاريخ بنحوه كما فى البداية (جـ٣ص٤٢).

وعند البيهقى أن أبا طالب قال له – ﷺ –: يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا فابق على وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه وأنه خاذله ومسلمه وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: يا عم.. لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى. فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ برسول الله ﷺ: يا ابن أخى فأقبل عليه

فقال: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا - كذا فى البداية (جـ٣ص٤٢).

والذى يعرف عادة العرب فى احترام الأكابر منهم وطاعتهم لأمرائهم ومشايخ بيوتهم يدرك مدى ا لأثر الكبير الذى يحدثه تدخل أبى طالب شيخ بنى هاشم نتيجة ضغط قومه عليه. ومحمد ﷺ الحيى الخجول المهذب ما كان ليخالف أمر عمه ورغبته لو كانت المسألة مسألة شخصية ولكن الأمر أكبر من ذلك. إنه أمر الله الذى هو أكبر من كل عرف ومن كل اعتبار ومن كل ضغط. وفى ذلك شهادة كاملة لمن عرف عادات القبائل العربية على أن محمدا رسول الله ﷺ.

* * *

(د) سلوكهم طريق الاستهزاء والسخرية والإعراض والاتهامات:

من سيرة ابن هشام ننقل هذه المقاطع:

- ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله: رجزه، وهزجه، وقريضه ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ماهو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق (النخلة) وإن فرعه لجناة.

قال ابن هشام: ويقال: لغدق (الغدق: الماء الكثير) - وما أنتم بقائلين من هذا

شيئا إلا عرف أنه باطل، وأن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره.

- وقال ابن اسحاق:

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم، فكذبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفى به، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

- وقال ابن اسحاق:

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذى رسول الله وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه فى مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهلم الى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثا منى؟

- وقـــال:

فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب، حين سألوه عما سألوا عنه، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا، ولجوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿**لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [فصلت: ٢٦] أى اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزؤا، لعلكم تغلبونه بذلك، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم.

– وقال: فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعم محمد إنما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشرة، وأنتم أكثر الناس عددا، وكثرة، أفيعجز كل مئة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك قوله: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [المدثر:٣٠] الى آخر القصة.

فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلى فيتفرقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى، استرق السمع دونهم، فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه، ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته، فظن الذى يستمع أنهم يستمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم، أصاخ له يستمع منه».

تصور حرب الدعاية الفظيعة التى لجأوا إليها، وهم قريش موطن ثقة العرب، والذين تأتيهم العرب سنويا للحج، وهم يشوهون اسمه عاما بعد عام، ويحاولون أن يحاربوه بكل سلاح من أسلحة القول، والعربى نفسه لا تسمح أبدا أن يقف موقف المتهم، ومع ذلك بقى رسول الله ﷺ صابرا على هذه الحرب الدعائية الفظيعة، هذه المدة الطويلة! ثلاثة عشر عاما، ما ونى وما كل، وهو يقوم بعملية التبليغ المستقيمة النظيفة.

إن استمرار الداعية فى مثل هذا الجو المحموم وحده، دليل على صدقه فيما يدعو إليه، وإلا فكيف نعلل استمرار رجل فى دعوة يلاقى ما لاقى، مع العرض عليه كل متاع الدنيا، ثم لا يرضى إلا بحمل الناس على دعوته، مع هذا الموقف الشديد منه. ان هذا لا يعلل إلا بصدقه فى دعوته، وأنه يبلغها مأمورا من الله عز وجل، وقد وضح له أن النكوص عن طريقه وراءه ما وراء الذى يعصى أمر الله من عقاب الله.

* * *

(هـ) استعمال سلاح المقاطعة:

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان

هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل الإسلام يفشو فى القبائل، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى – قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه.

قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه وخرج من بنى هاشم أبو لهب بن عبد المطلب الى قريش، فظاهرهم.

وقال ابن إسحاق: وحدثنى حسين بن عبد الله: أن أبا لهب لقى هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا، فقال: يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة.

– وأخرج أبو نعيم فى الحلية ج١ص٩٣ عن سعد رضى الله عنه قال: «كنا قوما يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومرنا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعة شئ تحت بولى فاذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم أستفها وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثا».

هذه المقاطعة التى كان من آثارها ما رأيت استمرت ثلاث سنين متواليات. لا بيع ولا شراء ولا زواج ولا إزواج ولا طعام ولا شراب.

يقول السهيلى: كانت الصحابة إذا قدمت عير الى مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيئا من الطعام قوتا لعياله فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا وقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فأنا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا، حتى يرجع أحدهم

الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع، وليس فى يده شئ يطعمهم به، ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس.

ثلاث سنوات متواليات على هذه الحال والمسلمون وأقارب رسول الله ﷺ من المشركين أنفسهم ممن يحمونه عصبية بنى هاشم وبنى المطلب، ورسول الله ﷺ صابر وهو يرى هذه المناظر المؤلمة. زوجة خديجة الطاعنة فى السن عمه أبو طالب الطاعن فى السن أسرته أقاربه يعانون هذه الحياة المجهدة، ومع ذلك ما فكر لحظة فى إيقاف عملية التبليغ والجهر بالدعوة، وليس هناك ظاهريا بارقة أمل، فالجزيرة العربية كلها مجمعة على الوقوف ضده مع قريش، ومع ذلك بقى مستمرا لا لقاء ولا مداهنة ولا تنازل ولا أى شئ آخر. فمن يستطيع أن يتحمل هذا لو لا إيمان بالله وثقة به وصدق بوعده ووعيده، واتصال بالله كامل يستسلم صاحبه لأمر الله فيه. إنها صفات الأنبياء وإلا يمكن أن تعلل إلا بأن صاحبها رسول الله حقًا.

* * *

(و) محاولتهم قتله:

– قال ابن إسحاق:

ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه واجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم، مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: – فيما بلغنى – يا أبا طالب: هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى فى قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فانما هو رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدا. قال: فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفونى، ولكنك قد أجمعت خذلانى، ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك – أو كما قال – فحقب الأمر وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا.

– وقال ابن إسحاق :

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا قدأبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإنى أعاهد الله لأجلس له غدا بحجر ما أطيق حمله – أو كما قال – فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى، فليصنع بعدذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا : والله لا نسلمك لشئ أبدا، فامض لما تريد .

– وقال ابن إسحاق :

وكان إسلام عمر – فيما بلغنى – أن أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم ابن عبد الله النحام رجل من قومه، من بنى عدى بن كعب قد أسلم، وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكروا أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق، وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة، فلقيه نعيم ابن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر؟

فقال : أريد محمدا هذا الصابئ، الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها، فأقتله . فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بنى بعد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

فقال : وأى أهل بيتى؟

قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه، فعليك بهما . قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه . .

– وقال ابن اسحاق : من خبر اجتماع الملأ من قريش وتشاورهم فى أمر رسول الله ﷺ فقال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم . فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا . قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، زهيرا والنابغة، ومن مضى منهم مع هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدى : لا والله، ما هذا لكم برأى، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه، فلأوشكوا أن يقبوا عليكم فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأى، فانظروا فى غيره، فتشاوروا ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فاذا خرج عنا فوالله لا نبالى أين ذهب ولا حيث وقع، واذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . فقال الشيخ النجدى : لا والله، ماهذا برأى، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه . ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . دبروا فيه رأيا غير هذا .

قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله ان لى فيه رأيا، ما أراكم وقعتم عليه بعد .

قالوا : وما هو يا أبا الحكم؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا (الشريف فى قومه) فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فانهم إذا فعلواذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم (العقل : الدية) قال : فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل، هذا الرأى الذى لا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

هذه نماذج من قرارات القوم بشأن اغتيال الرسول ﷺ . وإذن الفترة التى قضاها رسول الله ﷺ فى مكة لم تكن فترة أمن من كل الجوانب . ومع هذه التهديدات

المتواصلة وهذا الجو الذى يحطم الأعصاب. نجد رسول الله ﷺ ما انقطع فترة عن القيام بعملية التبليغ والجهر بها. ومجابهة الناس بما يدعو له، ان هذا كله ليس عاديا فى بيئة عربية وعلى النفسية العربية لولا أن المسألة مسألة وحى من الله وأمر.

* * *

(ز) ملاحقة خطواته ومحاولة ايئاسه منهم:

أخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عباد رضى الله عنه قال: إنى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بنى فلان.. إنى رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به. قال: وخلفه رجل أحول وضئ له غديرتان عليه حلة عدنية. فاذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل: يا بنى فلان.. إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفائكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبى: يا أبت.. من هذا الرجل الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب.

– وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: لقد كان رسول الله ﷺ يخرج فى المواسم فيدعو القبائل، ما أحد من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه، فقد كان يأتى القبائل بمجنة وعكاظ وبمنى حتى يستقبل القبائل يعود اليهم سنة بعد سنة حتى أن القبائل منهم من قال: ما آن لك أن تيأس منا؟

لقد بقى مستمرا فى عملية التبليغ على وتيرة واحدة وبدأب متواصل، رغم هذه الظروف غير المواتية، والتى تجعل الإنسان العادى ييأس أو يفتر. ولكن شيئا من هذا لم يحدث، فلو لا أنه رسول الله حقا يقوم بهذا كله إيمانا بالله وتنفيذا لأمره وتصديقا بوعده وخوفا من وعيده لما أمكنه الاستمرار وتجاوز شئ من هذا.

ونكتفى بهذه الأمثلة على تخطيه العقبات أمام البلاغ لننتقل إلى عرض نماذج من عمله الدائب المستمر الشامل فى تبليغ دعوة الله أى إلى:

نماذج النوع الثانى

(وهو الطرق التى سلكها لإيصال دعوة الله الى الناس) .

(أ) دعوته الناس للاجتماع من أجل أن يبلغهم :

أخرج أحمد عن ابن عباس قال : لما أنزل الله : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء : ٢١٤] أتى النبى الصفا فصعد عليه ثم نادى : يا صاحباه . . فاجتمع الناس اليه بين رجل يجئ اليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله : يا بنى عبد المطلب . . يا بنى فهر . . يا بنى كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى؟ قالوا : نعم . قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾ [المسد : ١] .

(ب) ذهابه إلى أماكن تجمع الناس وتبليغهم دعوة الله :

أخرج أحمد عن رجل من بنى مالك بن كنانة قال : رأيت رسول الله بسوق ذى المجاز يتخللها يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » قال : وأبو جهل يحثى عليه التراب ويقول : لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى وما يلتفت اليه رسول الله .

وأخرج أحمد عن ربيعة عن عباد من بنى الديل وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت رسول الله فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه وراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

وأخرج البخارى فى التاريخ وأبو زرعة والبغوى وابن أبى عاصم والطبرانى عن الحارث بن الحارث بن الحارث الغامدى قال :

قلت لأبى ونحن بمنى : ما هذه الجماعة؟ قال : هؤلاء اجتمعوا على صابئ لهم ، قال : فتشرفت فاذا برسول الله يدعو الناس الى توحيد الله وهم يردون عليه الحديث .

وأخرج الطبرانى عن مدرك قال: حججت مع أبى فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت لأبى: ما هذه الجماعة؟ قال: هذا الصابئ فاذا رسول الله يقول: يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا.

وأخرج ابن إسحاق عن الزهرى: أنه عليه السلام أتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن حصين: أنه (أى رسول الله) أتى كلبا فى منازلهم الى بطن يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى أنه ليقول: يا بنى عبد الله.. إن الله قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

وفى البداية عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم.

وعن ابن إسحاق عن الزهرى أنه (أى رسول الله) أتى بنى عامر ابن صعصعة فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس: والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال له: أرأيت أن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر الى الله يضعه حيث يشاء. فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه. فلما صدر الناس رجعت بنو عامر الى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم الموسم. فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم. فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا. فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بنى عامر.. هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلى قط، وانها الحق فأين رأيكم كان عنكم؟

وأخرج الحافظ أبو نعيم عن العباس رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ:

لا أرى لى عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجى الى السوق غدا حتى نقر فى منازل قبائل الناس؟ وكانت مجمع العرب. قالت فقلت: هذه كندة ولفها وهى أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بنى عامر ابن صعصعة، فاختر لنفسك؟ قال: فبدأ بكندة فأتاهم فقال: ممن القوم؟ قالوا: من أهل اليمن. قال: من أى اليمن؟ قالوا: من كندة. قال: من أى كندة؟ قالوا: من بنى عمرو ابن معاوية. قال فهل لكم الى خير؟ قالوا: ما هو؟ قال: تشهدون أن لا إله إلا الله، وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله. قال عبد الله بن الأجلح: وحدثنى أبى عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الملك لله يجعله حيث يشاء. فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به.

وقال الكلبى: فقالوا: أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا وننابذ العرب. الحق بقومك فلا حاجة لنا بذلك. فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: ممن القوم؟ قالوا: من بكر بن وائل. فقال: من أى بكر ابن وائل؟ قالوا: من بنى قيس بن علبة. قال: كيف العدد؟ قالوا: كثير مثل الثرى. قال: فكيف المنعة؟ قالوا: لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم. قال: فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم ان تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين، وتكبروه أربعا وثلاثين. قالوا: من أنت؟ قال: أنا رسول الله. ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبى: وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مر أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم، هذا فى الذروة منا فعن أى شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: زعم أنه «رسول الله» قال: ألا لا ترفعوا برأسه قولا فإنه مجنون يهذى من أم رأسه. قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكره.

* * *

(جـ) رحلته من أجل التبليغ:

أخبر الطبرانى عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفى أبو طالب خرج النبى إلى الطائف ماشيا على قدميه يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه فانصرف فأتى ظل شجرة

فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إنى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين! أنت أرحم الراحمين، الى من تكلنى؟ إلى عدو يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى إن لم تكن غضبان على فلا أبالى غير أن عافيتك أوسع لى. أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا قوة إلا بالله.

* * *

(د) تكليفه من أسلم تبليغ من لم يسلم:

أخرج أبى عاصم عن الأحنف بن قيس قال: بينما أنا أطوف بالبيت فى زمن عثمان اذ أخذ رجل من بنى ليث بيدى فقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى قال: أتذكر اذ بعثنى رسول الله الى قومك فجعلت أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم اليه فقلت أنت: إنك لتدعونا الى خير وتأمر به وانه ليدعو الى الخير فبلغ ذلك النبى فقال: اللهم اغفر للأحنف.

وأخرج الدارقطنى عن ابن عمر قال: دعا النبى عبد الرحمن ابن عوف فقال: تجهز فانى باعثك فى سرية - فذكر الحديث وفيه: فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل فلما دخلها دعاهم الى الاسلام ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا، وكان رأسهم فكتب عبد الرحمن - مع رجل من جهينة يقال له رافع بن مكيث - إلى النبى يخبره فكتب إليه النبى أن تزوج ابنة الأصبغ فتزوجها وهى تماضر التى ولدت له بعد ذلك أبا سلمة ابن عبد الرحمن.

وأخرج ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن التميمى قال: بعث رسول الله عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الاسلام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بلى فبعثه رسول الله اليهم يتألفهم بذلك..

وأخرج البيهقى عن البراء أن رسول الله بعث خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه. ثم أن رسول الله ﷺ بعث على بن أبى طالب

رضى الله عنه وأمره أن يقفل خالدا إلا رجلا كان ممن مع خالد، فأحب أن يعقب مع على فليعقب معه. قال البراء: فكنت فيمن عقب مع على. فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ثم تقدم. فصلى بنا على ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعا، فكتب على إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان.. السلام على همدان.

* * *

(هـ) تكليفه من تعلم أن يعلم من لم يعلم:

أخرج أبو نعيم فى الحلية عن عروة بن الزبير رضى الله عنه: أن الأنصار لما سمعوا من رسول الله ﷺ قوله وأيقنوا واطمأنت أنفسهم الى دعوته فصدقوه وآمنوا به - كانوا من أسباب الخير وواعدوه الموسم من العام المقبل فرجعوا الى قومهم - بعثوا الى رسول الله ﷺ أن ابعث الينا رجلا من قبلك فيدعو الناس إلى كتاب الله فانه أدنى أن يتبع فبعث اليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضى الله عنه أخا بنى عبد الدار، فنزل بنى غنم على أسعد بن زرارة يحدثهم ويقص عليهم القرآن فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدى الله على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم. ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يدعى المقرئ.

وروى الطبرانى فى الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة.. عن رسول الله ﷺ قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ويتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة».

ثم نزل فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قال: الأشعريين هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله.. ذكرت قوما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال: ليعلمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظو ويتفقهون أو

لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا، فقالوا: يا رسول الله أنعظن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم فأعادوا قولهم: أنعظن غيرنا؟ فقال ذلك أيضا، فقالوا: أمهلنا سنة فأمهلهم سنة يفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

* * *

(و) إرساله الرسل والرسائل لتبليغ الملوك والأمراء:

أخرج البيهقى عن إبن اسحاق قال: بعث رسول الله عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه وكتب معه كتابا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى النجاشى الأصحم ملك الحبشة.. السلام عليك فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه وإنى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى فإنى رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر فإنى أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وبلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى».

وأخرج البخارى عن ابن عباس حديث أبى سفيان مع هرقل وفيه نص رسالة رسول الله اليه وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم.. سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فان عليك اثم الأريسيين: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق نص رسالة الرسول الى كسرى وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فانى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن اثم المجوس عليك » .

وأخرج البيهقى نص رسالة الرسول الى أهل نجران وهى :

« باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبى رسول الله الى أسقف نجران وأهل نجران . . سلم أنتم فإنى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد . . فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية فان أبيتم فقد أذنتكم بحرب . . والسلام » .

وقد أرسل الرسول عليه السلام رسائل مشابهة الى المقوقس وإلى ملك اليمامة وإلى المنذر بن ساوى عظيم البحرين وإلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى وإلى الحارث بن عبد كلال الحميرى وإلى ملكى عمان ابنى الجلندى وغيرهم .

* * *

هذه نماذج من عملية التبليغ عند رسول الله تعطيك صورة مبسطة عن قيامه عليه السلام بتبليغ أمر الله ودينه وشريعته، واستيفاء هذا الموضوع حقه يحتاج الى مجلد ضخم على الأقل . إذ أن رسول الله خلال ثلاثة وعشرين عاما بعد النبوة، لم يهدأ ولم يسترح ولم يفوت فرصة يستطيع بها أن يبلغ رسالة الله الا وبلغ، بالاتصال الشخصى والعرض الجماعى، وفى السفر والحضر وبنفسه وأتباعه وبالمشافهة والخطاب، ثم عمم الأمر على أمته جميعا بأن عليهم واجب البلاغ عنه . حتى لا يبقى إنسان من البشر إلا وقد بلغته دعوته . وانظر الى نتائج هذا كله تجد أنه عليه السلام لم يمت إلا والجزيرة العربية كلها مستجيبة لأمر الله . وأكبر الدول المجاورة للجزيرة العربية قد بلغتها الدعوة ولم يمض عصر الخلفاء الراشدين الا وكان أكثر العالم المعروف وقتذاك

قد بلغته الدعوة، فمن مستجيب ومن معرض قامت عليه الحجة فأصر على الكفر عنادا، وما من إنسان يستطيع أن يتصور مثل هذا الحماس للتبليغ المنقطع النظير يمكن أن يكون الا وليد اقتناع كامل بصدق الدعوة والداعية، وما كان الداعية ليعطى هذا الحماس لأتباعه، لو لم يكن هو فى أعلى حالات الصدق والقيام بالواجب والشعور بالمسئولية أمام الله إن قصر فيه.

إن تاريخ العالم كله لا يقص علينا، أن أحداً قد استوعبت دعوته من قبل الآخرين فى حياته كما حدث لرسول الله الذى لم يمت الا وعشرات الآلاف من أتباعه يحفظون من الكتاب المنزل عليه الكثير، ومن أحاديثه وتعاليمه الكثير الكبير، ثم حفظت نصوص تعاليمه حرفيا لكل الأجيال الآتية بعد، لأنها كلها مكلفة باتباعه ومحاسبة أمام الله إن لم تفعل. إذا بلغ واحد منها دعوته. أما من لم تبلغه دعوته فقد اقتضت حكمة الله ألا يعتبر مسئولا، ولكن عمليا. وذلك كله من آثار قيام الرسول بواجب التبليغ لم يبق أحد منذ زمن بعيد الا فى النادر لم تبلغه دعوة رسول الله، وأنت ترى الآن الدعاة الى الله على صراط رسول الله منتشرين فى العالم كله، لقد قام رسول الله بعملية التبليغ حق القيام، وكما رأينا فان فى كل موقف من مواقفه ما يجعلك على برد اليقين، بأن هذه المواقف ما كانت لتكون، لو لا أن رسول الله محمدا صادق فى دعوى الرسالة عن الله.

فإلى الصفة الأساسية الرابعة الملازمة للتبليغ ولجوهر الرسالة عن الله وهى العقل العظيم والفطانة لترى كيف أن لرسول الله الحظ الأعلى منها:

* * *

٤- عقله العظيم وفطانته عليه السلام

١- ان الصفة الرابعة للرسل عليهم الصلاة والسلام هى الفطانة وهى الصفة الملازمة للتبليغ. اذ الرسول معرض وهو يقوم بعملية التبليغ لمناقشات الخصوم أو لتساؤلات الأتباع أو لاعتراضات المشككين وانتقاداتهم، فلابد أن يكون من الذكاء، وقوة البيان وحدة العارضة ما يستطيع به أن يبهت الآخرين فلا تقوم لهم حجة، إذ لو

قامت لهم حجة لما كان له عليهم سلطان وذلك مقتضى قوله تعالى: ﴿ **رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ** ﴾ [النساء:١٦٥].

وهذا لا يتم إلا بأن تكون دعوة الرسول حقا كلها، إذ غير الحق لا تكون حجته واضحة، والباطل دائما حجته داحضة، ولا يتم كذلك إلا بعقل يستطيع إحكام الحجة فى العرض. فكم حق لم يجد عقلا فضاع، ولا يتم هذا كله إلا بفصاحة وبيان يمكن بهما عرض الحجة بالشكل الأكمل، ولا يتأتى هذا إلا لأعلم الناس وأذكى الناس وأفصح الناس.

فالناس يتفاوتون علما ويختلفون اختصاصا. فمنهم رجل الدين. ومنهم السياسى. ومنهم الاقتصادى. ومنهم الطبيب، ومنهم رجل الحكمة ومنهم ومنهم.. وكل واحد من هؤلاء ينبغى أن تقام عليه الحجة لو اعترض من جانب اختصاصه فما لم يكن الرسول أعلم الخلق فى كل جانب من حيث صلة هذا الجانب برسالته لا يستطيع إقامة الحجة.

والناس يتفاوتون ذكاء وقوة حجة وعارضة، والرسول مهمته أن يقيم الحجة على كل البشر فما لم يكن أذكى البشر فإنه لا يستطيع أن يفعل.

وإنسان يحتاج الى هذا كله لابد له من لسان مبين، وفصاحة عظيمة، حتى قال موسى يوم كلفه الله بالوحى: ﴿ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾ [طه:٢٥-٢٨].

وباجتماع هذه الجوانب كلها تتحقق صفة الفطانة عند الرسول وتدل بذلك على صاحبها أنه رسول الله حقا مع استكمال بقية الشروط.

فالحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والحجة الكاملة البينة الخاصة فيه.

والعرض السليم الكامل الأداء.

وإلزام الخصوم العجز عن أن يكون لهم موقف حق إلا بالمتابعة.

كل هذا لا يتأتى إلا لدعوة الله المحيط علما بكل شئ ولرسوله الذى يختاره أهلا

لحمل دعوته ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

* * *

٢ - وباستعراضنا لهذه الجوانب عند رسول الله محمد ﷺ نجد أن له من كل شئ ذروة، فمن حيث أن دعوته كلها حق فذلك لا مرية فيه وتحقيق ذلك فى كل بحوث هذا الكتاب.

ومن حيث الفصاحة فهو أفصح العرب على الاطلاق وأبينهم لغة ونطقا وأداء.

ومن حيث إقامة الحجة فإنك لا تجد إنسانا، يستطيع إقامة الحجة المقنعة على كل إنسان حسب مستواه العقلى بكل بساطة، كما كان يفعل رسول الله ﷺ وبهذا تأتى له أن يقيم الحجة على الناس بدينه كله، عقيدة وعبادات وسلوكا ومنهاج حياة، هذا مع توفيق الله له وحكمته جل جلاله بأن كان القرآن الكريم قد فصل كل شئ، وحاج كل إنسان فحجه، فكان القرآن مع حديث رسول الله ﷺ الصحيح كما فحصه علماء الحديث - وهما محفوظان - حجة لله على البشر فى كل جيل إلى قيام الساعة.

* * *

٣- ولتوضيح ظهور هذه الجوانب عند رسول الله ﷺ. سنختار نماذج من مناقشاته يقيم بها الحجة على آخرين ومن خطبه أو كتبه يدعو بها إلى شئ من شريعته ومن كلمه المعلل بالحكمة فى الأمر أو النهى أو الخير مما يدلك على مدى ملكة الإقناع التى وهبها الله لرسوله حتى جعله أكمل الخلق فى كل خلق.

- أخرج عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن سعيد بن أبى راشد قال: رأيت التنوخى رسول هرقل الى رسول الله ﷺ بحمص وكان جارا لى شيخا كبيرا قد بلغ الفناء أو قرب فقلت ألا تخبرنى عن رسالة هرقل الى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ الى هرقل؟ قال: بلى.. وذكر الحديث ومن جملته:

«فانطلقت بكتابه (أى كتاب هرقل) حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين أصحابه على الماء.

فقلت: أين صاحبكم؟

قيل ها هو ذا فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه فناولته كتابى فوضعه فى حجره ثم قال: ممن أنت. قلت: أنا أحد تنوخ. فقال: هل لك فى الحنفية ملة ابراهيم؟ قلت: إنى رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع اليهم. قال: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾

[القصص: ٥٦]

إلى أن قال: ثم انه ناول الصحيفة رجلا عن يساره فقلت: من صاحب كتابكم الذى يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية فاذا فى كتاب صاحبى: يدعونى الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار؟

فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله فأين الليل إذا ذهب النهار.

قال الهيثمى: رجال أبى يعلى ثقات ورجال عبد الله بن أحمد كذلك.

- أخرج ابن خزيمة عن عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين قال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده أن قريشا جاءت الى الحصين- وكانت تعظمه - فقالوا له: كلم لنا هذا الرجل فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى ﷺ فقالوا: أوسعوا للشيخ. وعمران وأصحابه متوافرون. فقال حصين: ما هذا الذى بلغنا عنك. أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك حصينة وخيرا؟ فقال: يا حصين إن أبى وأباك فى النار، يا حصين كم تعبد من إله؟ قال سبعا فى الأرض وواحدا فى السماء. قال: فإذا أصابك الضر من تدعو؟ قال: الذى فى السماء قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الذى فى السماء. قال: فيستجيب لك وحده وتشركهم معه، أرضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال: لا واحدة من هاتين، قال: وعلمت أنى لم أكلم مثله.

قال: يا حصين أسلم تسلم.

قال: إن لى قوما وعشيرة فماذا أقول؟

قال: قل اللهم أستهديك لأرشد أمرى وزدنى علما ينفعنى.

فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم. فقام اليه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فلما رأى ذلك النبى ﷺ بكى وقال:

بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم قضى حقه فدخلنى من ذلك الرقة. فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: قوموا فشيعوه الى منزله، فلما خرج من سدة الباب رأته قريش فقالوا صبأ وتفرقوا عنه. كذا فى الإصابة ج١ص٣٣٧ .

– أخرج أحمد عن أبى تميمة الهجيمى عن رجل من قومه أنه أتى رسول الله ﷺ أو قال: شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله ﷺ أو قال أنت محمد؟

فقال: نعم. قال: ما تدعو؟ قال: أدعو الله عز وجل وحده – من إذا كان لك ضر فدعوته كشف عنك ومن إذا أصابك عام فدعوته أنبت لك. ومن إذا كنت فى أرض قفر فأضلك فدعوته رد عليك.

فأسلم الرجل ثم قال: أوصنى يا رسول الله، فقال: لا تسب شيئا. أو قال أحدا. شك الحكم – قال: فما سببت بعيرا ولا شاة منذ أوصانى رسول الله ﷺ.

– أخرج أحمد عن عدى بن حاتم قال: لما بلغنى خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة فخرجت حتى وقعت ناحية الروم – وفى رواية حتى قدمت على قيصر. قال: فكرهت مكانى ذلك أشد من كراهتى لخروجه.

قال: قلت: والله لو أتيت هذا الرجل فان كان كاذبا لم يضرنى وإن كان صادقا علمت، قال: فقدمت فأتيته. فلما قدمت قال الناس: عدى ابن حاتم، فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لى: يا عدى بن حاتم أسلم تسلم – ثلاثا. قال: قلت: إنى على دين. قال: أنا أعلم بدينك منك، فقلت: أنت تعلم بدينى منى؟ قال: نعم، ألست من الركوسية[١] وأنت تأكل مرباع[٢] قومك؟ قلت: بلى، قال: هذا لا يحل لك فى دينك، قلت: نعم، فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، قال: أما إنى أعلم الذى يمنعك

(١) الركوسية: دين النصارى والصابئين.
(٢) مرباع: ربع الغنيمة.

من الاسلام تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم وقد رمتهم العرب. أتعرف الحيرة؟

قلت: لم أرها وقد سمعت بها.

قال: فوالذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد. وليفتحن كنوز كسرى ابن هرمز، قال: قلت: كنوز كسرى بن هرمز؟

قال: نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد.

قال عدى بن حاتم: فهذه الظعينة تأتى من الحيرة تطوف بالبيت فى غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى. والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها. كذا فى البداية ج٥ص٦٦ وأخرجه البغوى أيضا فى مجمعه بمعناه، كما فى الاصابة ج ص٤٦٨.

وأخرج أحمد عن عدى بن حاتم قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بعقرب فأخذوا عمتى وناسا فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ قال: فصفوا له، قالت: يا رسول الله بان الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة فمن على من الله عليك فقال: ومن وافدك؟

قالت: عدى بن حاتم.

قال: الذى فر من الله ورسوله؟

قالت: فمن على، فلما رجع ورجل الى جنبه - ارى أنه على - قال: سليه حملانا، قال: فسألته فأمر لها، قال عدى: فأتتنى فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها وقالت: ايته راغبا أو راهبا فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه، قال: فأتيته فاذا عنده امرأة وصبيان - أو صبى - فذكر قربهم منه، فعرفت أنه ليس ملك كسرى وقيصر. فقال له: يا عدى بن حاتم؟ ما أفرك؟ أفرك أن يقال: «الله أكبر».

فهل شئ أكبر من الله عز وجل؟ فأسلمت فرأيت وجهه قد استبشر.

– أخرج أبو يعلى عن حرب بن سريج قال: حدثنى رجل من بلعدويه قال: حدثنى جدى قال: انطلقت الى المدينة فنزلت عند الوادى فاذا رجلان بينهما عنزة واحدة وإذا المشترى يقول للبائع: أحسن مبايعتى. قال: فقلت فى نفسى هذا الهاشمى الذى قد أضل الناس، أهو هو؟ قال: فنظرت فاذا رجل حسن الجسم، عظيم الجبهة دقيق الأنف دقيق الحاجبين. وإذا من ثغرة نحره الى سرته مثل الخيط الأسود شعر أسود وإذا هو بين طمرين. قال: فدنا منا فقال: السلام عليكم، فرددنا عليه، فلم ألبث أن دعا المشترى فقال: يا رسول الله قل له: يحسن مبايعتى، فمد يده وقال: أموالكم تملكون إنى أرجو أن ألقى الله عز وجل يوم القيامة لا يطلبنى أحد منكم بشيء ظلمته فى مال ولا فى دم وعرض إلا بحقه، رحم الله أمرءاً سهل البيع، سهل الشراء، سهل الأخذ، سهل العطاء، سهل القضاء، سهل التقاضى، ثم مضى.

فقلت: والله لأقصن هذا فانه حسن القول: فتبعته فقلت: يا محمد فالتفت الى بجميعه فقال: ما تشاء؟

قلت: أنت الذى أضللت الناس وأهلكتهم وصددتهم عما كان يعبد آباؤهم.

قال: ذاك الله.

قال: ما تدعو إليه؟

قال: أدعو عباد الله إلى الله.

قال: فقلت: ما تقول؟

قال: اشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله وتؤمن بما أنزله على، وتكفر باللات والعزى، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة.

قال: قلت: وما الزكاة؟

قال: يرد غنينا على فقيرنا.

قال: قلت: نعم الشيء تدعو إليه.

قال: فلقد كان وما فى الأرض أحد يتنفس أبغض الى منه فما برح حتى كان أحب الى من ولدى ووالدى ومن الناس أجمعين.

قال: فقلت: قد عرفت، قال: قد عرفت؟

قلت: نعم.

قال: أتشهد أن لا اله الا الله وأنى محمد رسول الله وتؤمن بما أنزل على؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله إنى أرد ماء عليه كثير من الناس فأدعوهم الى ما دعوتنى اليه فإنى أرجو أن يتبعوك، قال: نعم فادعهم، فأسلم أهل ذلك الماء رجالهم ونساؤهم فمسح رسول الله ﷺ رأسه.

– وذكر البخارى وأبو داوود وأتم ما ذكرا رزين مساجلة جرت بين المسلمين وبين أبى سفيان بعد موقعة أحد وقد أصيب المسلمون فنادى أبو سفيان جماعة من المسلمين يسألهم ويقول وهذا نص الحادثة كما رواها «فأشرف أبو سفيان (أى على المكان الذى كانوا فيه) فقال: أفى القوم محمد؟ فقال: (أى الرسول وكان معهم): لا تجيبوه. فقال: أفى القوم ابن آبى قحافة؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أفى القوم ابن الخطاب؟ فلم يجبه أحد، فقال: إن هؤلاء قتلوا، ولو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر رضى الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله لك ما يحزنك. قال أبو سفيان أعلى هبل. فقال ﷺ: أجيبوه. فقالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلا وأجل. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان يوم بيوم والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى. فقال ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا لا سواء، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار. أخرجه البخارى وأبو داوود الى قوله: لم تسؤنى، وأخرج باقيه رزين.

– وعن ابن إسحاق من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين – وقسم للمتألفين من قريش (أى حديثو العهد بالاسلام ليمكن الاسلام فى قلوبهم) وسائر العرب ما قسم، ولم يكن فى الأنصار منها شئ قليل ولا كثير – وجد (أى تغيرت قلوبهم) هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى قال قائلهم:

لقى والله رسول الله ﷺ قومه. فمشى سعد بن عبادة رضى الله عنه الى رسول

الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار، قد وجدوا عليك فى أنفسهم فقال: فيم؟

قال: فيما كان فى قسمك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شئ.

فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من ذلك يا سعد؟

قال: ما أنا إلا امرؤ من قومى.

قال: فقال رسول الله ﷺ فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة. فاذا اجتمعوا فأعلمنى. فخرج سعد فصرخ فيهم، فجمعهم فى تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم - حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له. أتاه فقال:

يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار.. ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة (أى فقراء) فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم، قالوا: بلى. ثم قال رسول الله ﷺ: ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟

قالوا: وما نقول يا رسول الله! وبماذا نجيبك؟ المن لله ولرسوله.

قال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم: جئتنا طريدا فأويناك، وعائلا فآسيناك، وخائفا فأمناك، ومخذولا فنصرناك. فقالوا: المن لله ولرسوله.

فقال رسول الله ﷺ: أوجدتم فى نفوسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة (أى فى شئ تافه إذ اللعاعة نبت ناعم لا يعمر طويلا) من الدنيا؟ تألفت بها قوما أسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله الى رحالكم فوالذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعبا، وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم (أى بلوها بدموعهم) وقالوا: رضينا

بالله ربا وبرسوله قسما ثم انصرف، وتفرقوا: وهكذا رواه الأمام احمد من حديث ابن إسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح.

– وأخرج مالك عن عطاء بن يسار:

أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: أستأذن على أمى؟

فقال: نعم.

فقال: الرجل: إنى معها فى البيت.

فقال: استأذن عليها.

فقال: إنى خادمها؟

فقال رسول الله: استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة؟

قال: لا.

قال: فاستأذن عليها.

– وأخرج الإمام أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى أمامة رضى الله عنه أن فتى شابا آتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لى بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه.. فقال: أدن، فدنا منه قريبا، قال: اجلس فجلس قال ﷺ: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك. فقال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال ﷺ: أفتحبه لابنتك قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم قال ﷺ: أفتحبه لأختك. قال: لا والله جعلنى الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال ﷺ: أفتحبه لعمتك قال: لا والله جعلنى الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم قال ﷺ: أفتحبه لخالتك قال: لا والله جعلنى الله فداءك فقال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم: قال: فوضع يده ﷺ عليه ثم قال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شئ.

– ومن نقاشه مع وفد نصارى نجران كما ترويه كتب السيرة فى أمر عيسى هذا المقطع:

قالوا: من أبوه؟ (أى عيسى يريدون أن يقيموا الحجة بهذا السؤال على أنه ابن الله. تعالى الله عن ذلك).

وقد رد القرآن عليهم بقوله: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ورد عليهم رسول الله ﷺ بما يلى:

قال: ألستم تعلمون أن الله حى لا يموت وأن عيسى يأتى عليه الفناء؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟

قالوا: لا.

قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟

قالوا: لا

قال: ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف يشاء؟ وأن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى. ثم كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

– ويوم الحديبية وقد حميت قريش للحرب وهو لا يريده قال كلمة أحاطت بجوانب الموضوع الذى يجعل قريشا لا تريد إلا ما أراد قال:

يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة.

يعني الموت.

* * *

هذه نماذج على مناقشاته التي يقيم بها الحجة على الآخرين بالبساطة المقنعة والفصاحة الآسرة.

وسترى نماذج على حدة ذكائه الهائل في تصريف الأمور وتدبيرها في الفصل الثاني من هذا الباب.

أما هنا فنريد أن نتمم ببيان فصاحته التي لا مثيل لها وهي السمة المرافقة التي لابد منها في إقامة الحجة ونضرب على ذلك أمثلة من خطبه وكتبه وكلمه الذي كان كله بليغا.

* * *

في حجة الوداع خطب رسول الله ﷺ في الناس خطبة طويلة وكان الذي يبلغها عنه ربيعة بن أمية وهذا جزء منها ترى فيه نماذج الكلم الذي فعل فعله في القلوب بما لم يفعله كلام آخر:

قال رسول الله لربيعة: قل يا أيها الناس إن الرسول يقول: هل تدرون أي شهر هذا؟ فقال ربيعة. فصاح الناس: الشهر الحرام. فقال رسول الله قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا.

ثم قال: قل يا أيها الناس إن الرسول يقول: هل تدرون أي بلد هذا؟ فيقول ربيعة فيصيح الناس: البلد الحرام. فيقول عليه السلام: قل لهم أن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا.

ثم يأمره: يا أيها الناس إن رسول الله يقول: هل تدرون أي يوم هذا؟ فيقول

لهم فيصيحون: يوم الحج الأكبر. فيقول: قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا.

ومن كلمة له عليه السلام: أمرنى ربى بتسع: خشية الله فى السر والعلانية وكلمة العدل فى الغضب والرضا، والقصد فى الفقر والغنى، وأن أصل من قطعنى وأعطى من حرمنى، وأعفو عمن ظلمنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكرا، ونظرى عبرة، وآمر بالمعروف».

* * *

ومن وصاياه:

«يا غلام: احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك – أو قال أمامك – تعرف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة. إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله تعالى فان العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله تعالى لك لم يقدروا على ذلك. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله تعالى عليك لم يقدروا على ذلك. جفت الأقلام وطويت الصحف فان استطعت أن تعمل لله تعالى بالرضا فى اليقين فافعل فان لم تستطع فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين».

* * *

ومن خطبة طويلة له عليه السلام حفظ منها أبو سعيد الخدرى ما يلى:

«إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء».

«ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه».

«ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ولا غدرة أعظم من غدرة امام عامة يركز لواؤه عند استه».

«ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا

ويموت مؤمنا، ومنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافرا، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا، ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت كافرا، ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء والسريع الغضب سريع الفيء، والبطيء الغضب بطيء الفيء، فتلك بتلك. ألا وان منهم بطيء الفيء سريع الغضب، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وان منهم حسن القضاء حسن الطلب، ومنهم سئ القضاء حسن الطلب، ومنهم حسن الطلب حسن القضاء فتلك بتلك ألا وإن منهم السئ القضاء سئ الطلب، ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب، وشرهم سئ القضاء سئ الطلب، ألا وإن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، أما رأيتم الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمن أحس بشئ من ذلك فليلصق بالأرض».

– عن معاذ بن جبل رضى الله عنه:

قال: كنت مع رسول الله ﷺ فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير. فقلت: يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار. فقال: لقد سألت عن عظيم، وأنه ليسير على من يسره الله عليه. تعبد الله لا تشرك به شيئا. وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: الصوم جنة. والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين. ثم تلا: ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** ﴾. الى قوله: ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٦– ١٧]. ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الاسلام. وعموده الصلاة وذروة سنامه: الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: كف عليك هذا، وأشار الى لسانه. قلت: يا رسول الله.. وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم – أو قال على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم».

– وعن أبى ذر رضى الله عنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله: فأما الثلاثة

الذين يحبهم: فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته **الا الله** والذى أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى اذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به فنزلوا. فقام رجل يتملقنى ويتلو آياتى، ورجل كان فى سرية فلقى العدو فانهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له، وأما الثلاثة الذى يبغضهم الله: فالشيخ الزانى، والفقير المختال، والغنى الظلوم».

– وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم: مرضت فلم تعدنى، فيقول: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى. قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: إن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه، أما علمت لو أنك أطعمته لوجدت ذلك عندى. يا ابن آدم: استسقيتك فلم تسقنى. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: **إن عبدى فلانا استسقاك فلم تسقه؟ أما علمت** أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى».

* * *

والسر فى فصاحته ﷺ أنه يقول الكلمة القصيرة فتبلغ كل مبلغ وتحيط كل إحاطة، وتصل الى أدق القضايا، ويتفاوت الناس فى الأخذ منها على مقدار ما أوتوا من حكمة وعلم وذكاء وفهم. وقد عبر هو عليه السلام عن سر فصاحته فقال: أوتيت جوامع الكلم. وانظر عبارته هذه. ترى معناها أنه ليعبر عن المعانى العظيمة الكثيرة الكبيرة بكلمة مختصرة سهلة، ولكنها لا تكاد تدرك معانيها لما أحاطت به، وهذه قضية يعرفها كل من اطلع على أحاديثه عليه السلام، التى بلغت عشرات الآلاف، والمحفوظة فى كتب الحديث المعتمدة المنقحة الصحيحة. وخذ أى حديث من أحاديثه وأى كلمة من كلامه تجد هذا واضحا بالشكل الذى لا يلحق به إنسان إلا فى نوادر الحالات، ولكن كلام رسول الله ﷺ كله من هذا النوع ومن ثم كان أفصح العرب على الإطلاق.

وقد ضرب العقاد أمثلة على هذا الذى قلناه وحللها فأتى بالجيد. نجتزئ منه

بمثال يقول: «ومن أمثلته (أى الكلام الجامع للمعانى الكبار فى الكلمات القصار عند رسول الله) علم السياسة الذى اجتمع كله فى قوله: «كما تكونوا يول عليكم». فأى قاعدة من القواعد الأصيلة فى سياسة الأمم لا تنطوى بين هذه الكلمات؟

ينطوى فيها أن الأمم مسئولة عن حكوماتها لا يعفيها من تبعة ما تصنع تلك الحكومات عذر بالجهل، أو عذر بالاكراه، لأن الجهل جهلها الذى تعاقب عليه، والاكراه ضعفها الذى تلقى جزاءه.

وينطوى فيها أن العبرة بأخلاق الأمة لا بالنظم والأشكال التى تعلنها الحكومة. فلا سبيل الى الاستبداد بأمة تعاف الاستبداد ولو لم يتقيد فيها الحاكم بقيود القوانين، ولا سبيل إلى حرية أمة تجهل الحرية، ولو تقيد فيها الحاكم بألف قيد من النظم والأشكال.

وينطوى فيها أن الولاية تبع تابع، وليست بأصل أصيل، فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأحرى ألا يغير الوالى قوما حتى يتغيروا هم قبل ذلك.

وينطوى فيها أن الأمة مصدر السلطات على حد التعبير الحديث.

وينطوى فيها أن الأمة تستحق الحكم الذى تصبر عليه، ولو لم يكن حكم صلاح واستقلال وذلك هو الابلاغ الذى ينفذ فى وجهاته كل نفاذ».

ويختم العقاد كلامه فى هذا الموضوع بقوله:

«وأمثال هذه الأحاديث فى أصول السياسة والأخلاق والاجتماع مما لا يتناوله الاحصاء، فى هذا المقام. كان محمد فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، وكان بليغا مبلغا على أساس ما تكون بلاغه الكرامة والكفاية وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين بل قدوة المرسلين».

وحسبك هذه الشهادة من العقاد شيخ أدباء العرب فى القرن العشرين.

* * *

وبهذا نرجو أن تكون قد اتضحت لك صفة الفطانة التى لا مثيل لها عند رسول الله فى بيان الحق، وإقامة الحجة فيه، ونصاعة البيان فى عرضه، وكمال الأداء فى

إيصاله وستتضح لك هذه الصفة أكثر فى الفصل الثانى، حيث الكلام عن السياسى الأول، والمحارب الأول، والمعلم الأول عليه السلام، ولعل الفصل الثانى سيكون اكثر مشيرا الى عظمة عقله وفطانته عليه السلام فلنقتصر هنا على ما قدمناه.

وبهذا نختتم الفصل الأول من هذا الباب وقد رأيت فيه كيف أن رسول الله ﷺ له من الصفات الأساسية للرسل كمالها وتمامها وأن ذلك دليل على أنه رسول الله حقا، خلقه الله على أكمل الأحوال، وأرفع المقامات ووفقه لأعظم الأعمال، مما ينوء بحمله كل الرجال مجتمعين. فسار فى طريق لم تضطرب بدايته فيه، ولم تتحول مسيرته عنه. حتى وصل الى نهاياته على استقامة. من أول الشوط اليها، كل خطوة بعد التى تليها، بناء يتكامل يوما فيوما حتى تم، لا نقص فيه ولا عوج، ولا ينقض منه شئ أبدا، وما كان ذلك ليكون كله لولا أن الله المحيط علما بكل شئ وراء رسوله فى كل شئ. يسدده ويرعاه ويسيره حتى كان ما كان.

* * *

obeikandl.com